

أئمة العدل والجهاد (١)

# الإمام الهادي إلى الحق (ع)

(١)

شموع لا تنطفئ وأشجار دائمة الثمر

تأليف

الشهيد / يحيى محمد المؤيد

مراجعة وتصحيح

عبد الرحمن محمد المروني

مكتبة الوحدة

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

دار الإمام زيد بن علي

# الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

قر الصف بمكتبة الوحدة بصعدة  
وقر الإخراج بإشراف مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية



مكتبة الوحدة

صعدة باب السلام

ص ب (٩٠٢٥٩) ت (٥١٢٠٨٦)

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص ب. ١٤٣٦٨٤٨، عمان ١١٨٤٤، الملكة الأردنية الهاشمية

gro.fcabzi@ofni :liame ; gro.fcabzi.www :otstbW

دار الإمام زيد بن علي (ع) الثقافية للنشر والتوزيع

ص ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧ - ٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١ - ٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



والله لإِنْ أَطَعْتُمُونِي لَأَيِّغِيبَنَّ عَنْ رَسُولِ

اللَّهِ إِلاَّ شَرَّخَطَهُ

الإمام المهدي (ع)



## الإهداء

إلى روحه الطاهرة..

إليك يا روح النبوة .. أهدي ما خطه قلمي .. منكس الطرف ..  
مستحي..

يكاد الوجه أن يجثو على التراب .. فدون وصفي لك يا مولاي عجز  
اللسان وأخفق القلم.

هل تراني بضعفي وتقصيري وقلّ معرفتي أفي يحق من كان لله  
في الأرض شعاعاً به الخلائق تستضيء وتهدي؟؟ ولا تزال ولن  
تزال عند ضريحك يا مولاي دوماً .. سوف تجتمع.. إني حقير في  
فناء مجدك يا سليل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجتو  
وأعتذر من كل تقصير بدا ومن كثرة الزلل فما أنا إلا طفيلي على  
أبواب أهل الصفاء والاصطفاء أرجو وألتمس..

فبهم يرضى الإله الأعظم

وبحبهم أرجو شفاعه جدهم

وبحبهم يرضى الحبيب محمد

ووسيلتي يوم التغابن حبهم





## تفسير

مما لا شك فيه أن التاريخ جهل - أو تجاهل - فضائل كثير من الفضلاء، وأتاح الفرصة لأعدائهم فتكلموا فيهم بما لا يليق.

ذلك لأن التاريخ ظلوم جهول متجاهل يتجاهل فضائل المصلحين المخلصين، وكثيراً ما يرفع شأن المبطلين ويثني على المفسدين، لأنه صفحة مفتوحة يسجل فيها الكتاب ما يشاءون فيحفظها لمن بعدهم.

فإن لم يجد من أهل الحق من يسجل على صفحاته حقهم، ويذكر فضائلهم، تجاهلها كما تجاهل فضائل من سبقهم، وأبقى كلمات أعدائهم، بل وأبدلهم بالنور ظلمة، وبالصدق كذباً، وبالذكر الجميل ذكراً قبيحاً، وبالحقائق أوهاماً وتشكيكاً. ثم لا يفتقر يقلب الحقائق حتى يسمي الشهيد شيطاناً، والأمر بالمعروف ظالماً جباراً، والمصلح الذي

يتهالك في إصلاح مجتمعه وأمته مفسداً مكاراً.

كما فعل بعض المؤرخين مع قتلة الحسين (ع) والمنائين  
لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).. وغيرهم  
من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ونظراً لما اعتاده بعض المؤرخين من التهميش لهذه  
الشخصيات العظيمة.. وحتى لا يُظلمَ هذا الإمام المؤمن  
المجاهد، أو يسجل له التاريخ على ألسنة معاديه تاريخاً  
مظلماً مغلوطاً غير تاريخه الأبلج المشرق بالأنوار المحمدية  
والفضائل العلوية..

نقدم هذا الكتاب مساهمة منا في نشر المعرفة؛ وإظهار  
الحقيقة؛ وتصحيح المفاهيم المغلوطة.

والله من وراء القصد.

الناشر

## تقریظ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

وبعد..

فإني أهني الولد العلامة يحيى محمد محمد المؤيدي حفظه  
الله بما قلمه لطلاب العلم وراود الحقيقة من الخلمات  
النافعة المهمة وبالأخص تأريخ الإمامين الأعظمين الإمام  
زيد بن علي عليه السلام، والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن  
الحسين عليه السلام.. وحيث وقد جعله بالأسلوب  
القصصي الجذاب فشكر الله سعيه، وضاعف أجره  
وأشركني في صالح عمله.. آمين.

حرر ٢٨ الحجة سنة ١٤١٩هـ

أحمد بن صلاح الهادي (وفقه الله)

## تقديم

ما من شك أنه كان لأولئك الرجال المخلصين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته أثرهم الكبير في قيام دولة الإسلام التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنى دعائمها، وشيد أركانها.. ذلك لأنهم عقدوا البيعة مع الله، ووفوا بذلك العقد المؤكد من رب العزة تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ فكان نتيجة صدقهم مع الله وإخلاصهم له أن صدقهم وعده الذي قال فيه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿١٠﴾

وفعلًا فقد تم للمسلمين ما أرادوا بفضل الله عز وجل.. ولم تمض على المسلمين سنوات معدودة إلا وقد امتدت رقعة الإسلام شرقاً وغرباً، وتهاوت أمام تلك التكبيرات الصادقة عروش الفرس والروم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ونعم المسلمون بالأمن والأمان.. ودرت عليهم الخيرات من مكان، وامتن الله تعالى على عباده المؤمنين بذلك النصر العظيم والفتح المبين، فقال جل وعلا: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا\* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا\* وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ ولقد ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم، ويؤدب، وينصح، ويرشد، حتى لحق صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى، وقد أوضح الحجة وأبان المحجة، وترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ

عنها إلا هالك، ولكن ما إن لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى حتى حلت الكارثة، ووقعت المأساة، فقد إشرأبت أعناق أولئك الذين أعمى قلوبهم حب الدنيا واتباع الهوى، وتحركت فيهم نوازع العصبية الجاهلية؛ فتقدم المتأخر وتأخر المتقدم، وأسند الأمر إلى غير أهله، حتى صارت الخلافة نهياً ينزوا عليها الفساق والأراذل والأشرار، وتحقق في الأمة ما أخبر به رب العزة تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ وتحقق فيهم ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فأولهن نقضاً الحكم وأخرهن الصلاة».

وكان لتحول الخلافة من شورى عادلة إلى ملك عضوض أثره الكبير في نكسة الأمة، ونتج عن ذلك إنحراف كبير في كل مناحي الحياة ومجالاتها.. فعطلت الأحكام، وانتشر الفساد، وساد الظلم، واستأثرت ثلة

حقيرة بخيرات الأمة وثرواتها ومقدراتها، وساموا الناس  
 سوء العذاب، وازداد الأمر سوءاً والطين بلة أن تفتت في  
 الناس عقيلة تقديس الحاكم؛ إذ صار الحاكم في أذهان  
 العامة خليفة الله في الأرض، لا يُسأل عما يفعل وهم  
 يُسألون، وساعد على ذلك أن بعض من يتقصدون لباس  
 العلم رَوَّجوا هذه العقيلة في الناس، ورووا في ذلك  
 الأحاديث الكثيرة كحديث: «إن السلطان ظل الله في  
 الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عبادي، فإذا عدل كان له  
 الأجر وعلى الرعية الشكر، وإذا جار كان عليه الوزر وعلى  
 الرعية الصبر»، وحديث: «اسمعوا وأطيعوا وإن أستعمل  
 عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»، وحديث: «من كره من  
 أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات  
 ميتة جاهلية»، وحديث: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن  
 عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن  
 يعص الأمير فقد عصاني»، إلى غير ذلك من الأحاديث<sup>(١)</sup>  
وهي وإن كانت في معنى طاعتهم في غير معصية الله إلا  
 (١) انظر هذه الأحاديث وغيرها في (رياض الصالحين) للنووي في باب  
 وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية.

أنهم روجوا لتلك الأحاديث، وفسروها على مقتضى ما يريدون، واعتبروا تلك الأحاديث دليلاً على وجوب الطاعة العمياء للأمر دونما نقاش أو مجادلة.

لذلك نشأت في الأمة على مدار القرون الماضية وحتى اليوم عقيدة تقديس الحاكم حتى قال قائلهم: (المليك إذا عدل فهو نبي، وإذا ظلم فهو ولي) واستسلم الناس للحال، ورضوا بالواقع، واستكانوا للباطل، وكانهم ما قرأوا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا\* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ونسوا وتناسوا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «سيد الشهداء حمزة ثم رجل قام إلى إمام جائر فنهه فقتله».

ولكن شاء الله عز وجل أن يقيض لهذا الدين رجالاً من معدن النبوة ومنبع الرسالة من أهل البيت النبوي (سلام الله عليهم) نهضوا للدفاع عن الدين وحماية مقدساته،



فكانوا بحق كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وتحقق في أولئك الأئمة الأطهار قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال هذا الدين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»<sup>(١)</sup>.

وابتدأت تلك المسيرة المباركة - مسيرة الجهاد ضد الظلم والطغيان - بالإمام أبي عبد الله الحسين (ع) والتي لم تكن إلا لتحقيق العدل وإقامة الشرع، وإحياء ما طمس من معالم الدين، فها هو الإمام الحسين (ع) بعد أن تجهز للخروج وجاءه من يحاول ثني عزمته وتثبيط همته عن الخروج للجهاد في سبيل الله يخطب في أصحابه قائلاً: إن هذه الدنيا قد تنكرت وأدبر معروفها فلم يبق إلا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيش كالمرعى، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا ينهى عنه، ليرغب المرء فيه لقاء ربه فلإني لا أرى

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه (الباب الثاني عشر).

## الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا شقاوة.

وعلى هذا المنهاج سارت مواكب النور، واستمرت المسيرة الجهادية ضد ظلم الولاة واستبدادهم، بعد أن حمل لواءها الإمام الشهيد زيد بن علي (عليه السلام) ومن سار على نهجه من الأئمة الأعلام الذين قلموا أرواحهم رخيصة في سبيل الحق ورفع راية العدل، وتحقق لكل منهم أمنيته المنشودة.. إما الشهادة والإحتاق بسجل الخالدين، وإما النصر وإقامة دولة العدل على نهج الكتاب والسنة، ونهج الأنبياء والمرسلين.

وإذا كنا قد تلقينا ثقافة موروثه تحصر الخلافة الراشدة في الخمسة الخلفاء المشهورين دون أي ذكر أو إشارة إلى أن أحداً من الأئمة والولاة قد سار على ذلك المنهاج النبي سار عليه الخلفاء الراشدون، فإننا نجد في الوقت نفسه أن خط أهل البيت - وخصوصاً الدولة الزيدية في المغرب واليمن وطبرستان - قد أعطى عشرات النماذج لأئمة العدل الذين كانوا بلا شك خلفاء راشدين، نشروا العدل،

وحكموا بالشرع، وساروا في الناس سيرة صلحة، شهد لهم بذلك الموالف والمخالف، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد اشترط أئمة الزيدية ومجتهدوها أربعة عشر شرطاً فيمن يتولى إمامة المسلمين أهمها<sup>(١)</sup>: أن يكون ورعاً متعافياً عن صفائر الأمور، مؤدياً للواجبات على أتم وجه، ومجتنباً للمحرمات، وأن يكون أفضل أهل زمانه أو كأفضلهم، وأن يكون شجاعاً له من رباطة الجأش ما يتمكن معه من تدبير الحروب، وأن يكون قادراً على القيام بثمرة الإمامة من صلاح العامة والخاصة، والقيام بتجهيز الجيوش وسد الثغور، وحماية دار الإسلام، وأن يكون سخياً بإعطاء كل ذي حق حقه، وإجزال العطايا والصلوات لكل من تحت يده، وأن يخرج على أئمة الجور داعياً لنفسه، ومن أهم هذه الشروط: أن يكون عالماً مجتهداً.

فإذا أضفنا إلى تلك الشروط الأربع عشر شروط

---

(١) عن كتاب (الإمام الهادي والياً وفتياً) للدكتور/ عبد الفتاح شايغ نعمان بتصرف.

الاجتهاد فستصبح عشرين شرطاً أو أكثر، مما يعني أن أئمة  
الزيدية اشترطوا أن يكون ولي أمر المسلمين من أشرف  
الناس نسباً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم ورعاً وفضلاً  
وشجاعة وكرماً... إلخ، لذلك لا غرو أن نجد إماماً من أئمة  
الزيدية كالإمام الهادي (عليه السلام) يخاطب الناس بقوله:  
(والله لإن أطعموني لا يغيب من رسول الله إلا شخصه)،  
والإمام الهادي (سلام الله عليه) حين يقول هذا القول فإنه  
يعلم ما يقول، ولقد كان فعلاً نموذجاً فريداً قل أن يوجد له  
نظير. يقول الدكتور عبد الفتاح نعمان في كتابه (الإمام  
الهادي والياً وفاقياً): وكان يشترط على نفسه في دعوته علة  
شروط فكان يقول: (أيها الناس .. وبعد .. فإني اشترط لكم  
أربعاً على نفسي: الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله  
عليه وآله وسلم، والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله  
بيني وبينكم، أو ثركم فلا أتفضل عليكم وأقلّمكم عند  
العطاء قبلي، وأتقلمكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي،  
وأشترط عليكم اثنتين: النصيحة لله سبحانه ولي في السر

والعلانية، والطاعة لأمرى على كل حالاتكم ما أطعت الله، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت أو عدلت عن كتاب الله وسنة رسوله فلا حجة لي عليكم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثم قال الدكتور نعمان: ولقد قضى الإمام الهادي عمره كله لتلك الغاية النبيلة التي أعلنها مبدأ أمره، عاش حياته كلها جهاداً ونصباً، ولم يتخّر لنفسه فيها درهماً ولا ديناراً، ولم يسعَ لملك ولا سلطان، وما تناقضت أفعاله مع أقواله يوماً من الأيام، وإنما ظلت حياته كلها نسقاً واحداً، ونغماً صادقاً، منذ أن خرج لإعلاء كلمة الحق حتى لقي الله<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور صبحي في كتابه (الزيدية): وإذا كان - أي الإمام الهادي - قد جمع بين العلم والجهاد فقد جمع كذلك بين صفتين تبدوان متعارضتين وهما رجل الدولة ثم الزاهد، وما ذاك إلا لإجتماع النظر والعمل فيه إلى حد

(١) د/ عبد الفتاح شايف نعمان، (الإمام الهادي والياً وفتياً)، الطبعة الأولى

١٩٨٩م، ص ١٢٩.

التطابق، يؤمن ثم يفعل ما به يؤمن، فلا يعرف إزدواج النظر والعمل إلى قلبه سبيلاً.. (والله إنها لسيرة محمد أو النار).. عرف التشيع أئمة اقتصروا على العلم دون الجهاد كما عرف أئمة غلبوا الجهاد على العلم، وعرف التشيع - وغير التشيع - رجال دولة يظنون أن حجاباً يفصل بينهم وبين الرعية لازمٌ من أجل دعوى غرس المهابة في قلوب الناس ولكننا بصدد إمام يطعم بيده ويؤاكل المساكين معه، أما أن يتحد العلم مع الجهاد على نحو فائق، وأن يكون الورع والزهد ومواساة المحتاجين من خصال رجل الدولة فذلك ما لا يكون على مر العصور والدهور - إلا في الواحد بعد الواحد ومنهم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين<sup>(١)</sup>.

ولقد عرض الدكتور صبحي أهم الصفات التي كان يتصف بها الإمام الهادي (ع) في زهده وعلمه وتواضعه وشجاعته وعدله.. إلى أن ذكر أن الإمام الهادي (ع) كان يتشدد على عسكره أن لا يدخلوا الزرع ولا يستحلوا

(١) د/ أحمد محمود صبحي (الزيبلي)، منشورات الزهراء للإعلام العربي ص ٨٠.

لأنفسهم شيئاً من ثمار المزارعين، وحينما اغتصب بعض جنده في أثافت شيئاً من الخوخ (الفرسك) غضب وثار واحتجب عنهم وهم بتركهم وقال: (لا يحل لي أن أحارب بمثل هؤلاء، ولا أكون كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره، والله ما هي إلا سيرة محمد أو النار) ولم يسكن غضبه حتى أبدوا ندمهم وتوبتهم مما فعلوا، ثم قال الدكتور صبحي في هامش الكتاب معلقاً على هذه الحادثة ما لفظه: سئلت: ألا تعتقد في أن هناك مغالاة من أتباعه في إضفاء هذه الأوصاف عليه؟ فقلت: لو لم يكن ذلك حقاً لما كانت موالاته إلى يومنا هذا ولافتضح المستور كما تنفضح سير الملوك بعد موتهم مما خلعوا على أنفسهم أو خلعت بطانتهم عليهم من تمجيد، فشتان بين الأئمة والملوك، وشتان بين اتباع يوالون إلى اليوم وبين بطانة تنافق في زمن السلطان<sup>(١)</sup>.

وإنه قد يطول بنا الحديث لو ذهبنا نجمع شهادات الموالف والمخالف على ما تحلى به أئمة الزيدية من العدل والزهد والعلم والتقوى والفضل والشجاعة

---

(١) نفس المصدر، ص ١٤٢.

والإخلاص ... إلخ، أو ذهبنا نأخذ شواهد على ذلك من أقوال الأئمة وسيرهم، أو من مكاتباتهم إلى الخلفاء والولاء، أو من رسائلهم إلى عامة الناس التي كانت تتضمن الدعوة لمناصرتهم في الخروج للجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم والفساد، ولكننا نحيل ذلك على الكتب والمراجع التي أصبحت بحمد الله متوفرة سهلة المنال لمن أراد البحث والاطلاع.

وها هي مؤسسة الإمام زيد قد قامت مشكورة بطباعة هذه السلسلة (سلسلة أئمة العدل والجهاد) التي سيلحظ القارئ من خلالها التطبيق العملي والنموذج الحي لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فألوا على أنفسهم إلا إقامة الدولة الإسلامية الحقة القائمة على العدل بين الناس والحكم بما أنزل الله، وتنفيذ أوامر الشرع وأحكامه، وأعطوا من خلال حكمهم نموذج الخلافة الراشدة المهديّة السائرة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والقائمة على أساس العدل في الرعية ورفع المظالم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبرزوا وجه الإسلام المشرق



الذي كان قد شوّهه حكام الجور والطغيان.

على أن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن هذه السلسلة لخصت سير أولئك الأئمة الهداة فكانت قاصرة عن الإحاطة ببعض الجوانب المتعلقة بكل إمام منهم؛ لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات وهو ما يمكن أن يجده الباحث في كتب السير والتراجم والتأريخ، والأيام كفيلة بإذن الله لإيجاد سلسلة موسوعية عن حياة أولئك الأئمة الأعلام يمكن من خلالها الإحاطة بجميع الجوانب المتعلقة بتلك الشخصيات العظيمة.

ولا يسعنا في ختام هذا التقديم إلا أن نترحم على الأستاذ الشهيد يحيى محمد المؤيد سائلين المولى عز وجل أن يرحمه رحمة الأبرار وأن يسكنه مساكن الأخيار ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

ثم نتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على مكتبة الوحدة

بصعلة الذين كان لهم الفضل - بعد الله تعالى - في إخراج  
هذه السلسلة إلى حيز الوجود بالتعاون مع مؤسسة الإمام  
زيد، وجزى الله الجميع عن محمد وآله خير الجزاء.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله  
وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

عبد الرحمن محمد المروني

صنعاء

٢٠٠٢/١١/٢٢ م



## مقدمة

لكي يبقى اهلي المحمدي جلياً واضحاً.. غير محرفٍ ولا زائف.. كان لا بد أن تبقى بقعة من بقاع الأرض الإسلامية خالية من حكم من تقمصوا دور الأكاسرة والأقاصرة من حكام المسلمين.. وأدعوا أن الذي يمارسونه في حق الأمة هو حكم الإسلام، وأنه صميم ما نزل به القرآن ودعت إليه السنة المطهرة.

وكان من تلك البقاع التي شرفها الله بأن يطبق عليها الحكم الإسلامي الذي أراه الله ورسوله أرض اليمن الطيبة.

فهيأ الله لهذه الديار وأهلها الموصوفين بلين القلوب وطيب الأفئدة.. رجلاً من السلالة الحمديّة بلغ من العلم أسمى المراتب.. ومن التواضع ما يعجز عنه الوصف. فقال

عن نفسه مقالة لو صدرت عنه وهو كاذب فيها الخسفت به الأرض .. ولكنه ما نطقها لسانه حتى صاغتها جوارحه فخرجتها من قالب الكلمات والأقوال إلى واقع الأفعال والممارسة.

فقد وقف في الناس خطيباً فكان مما قال لهم:

«والله إن أطمعتموني لا يغيب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا شخصه».

وكان من أكثر الناس اعتزازاً بنسبته إلى السلالة النبوية الشريفة.. ولكنه اعتزاز العلماء.. لا افتخار الجهلاء.. الذين لا يملكون من تلك النسبة إلا الدفاع والتعصب للألقاب.

أما السمات الكريمة، والأخلاق الرفيعة، والتفاني في خدمة الأمة فقد عزلوها جانباً.

فكأنني بالبعض لا يجيد في هذه الحياة إلا التمحور حول نفسه.. فتراه يغرق في بحور الأنا والبحث عن الذات..

وينسى دوره الذي توارثته هذه السلالة الطاهرة سلفاً  
عن خلف.

فريداً وريداً أيها الطالبون لأجد الأوائل.. فوالذي فلق  
الحبة وبرأ النسمة لن تبلغوا معشار ما بلغوا.. حتى تكون  
الحياة لا تساوي عندكم جلب شعيرة.. وأموالكم تنفق في  
سبيل خدمة الأمة وهذا الدين فلا تجدون لما تنفقون حسرة  
في قلوبكم.. وتخلصون لله أعمالكم حتى لا تطلبون بها مع  
الله رفعةً أو مكانة في قلوب الناس في هذه الدنيا.

ريداً وريداً أيها المتسابقون إلى طلب الرتب الوهمية  
والعزة والمجد حيث لا عزة ولا مجد.

وتعالوا لنعيش مع رجل مثل بحق منتهى الكمال  
البشري.. فكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم علماً وعملاً وخلقاً وجهاداً.

لنغترف من معين المقامات الهادوية المستقلة من محور  
الفضائل الحمديّة، والمناقب العلوية وأرجو أن يكون لنا في  
شخصية الإمام الهادي إلى الحق (ع) درساً عملياً.. كيف

يجب أن نطلب عز الدنيا والآخرة.

وأرجو أن أكون قد وفقت في عرضها بأسلوب قصصي  
مبسط يساعد القارئ على الاستمرار في قراءتها، والتفاعل  
مع أحداثها.

مع اعترافي بأنني لست من أهل هذا الفن .. ولكن  
الضرورة ألجأتني إلى أن أزج بقلمي فيما لا أجيله حتى  
يهيئ الله لهذا الفكر رجالاً يخرجونه إلى الأمة في حلة  
عصرية تتمشى مع متطلبات العصر.

يحيى محمد المؤيد

صعلة- ضحيان

٣ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ١٩/٤/١٩٩٩م

## مدخل

في سنة ١٣٢هـ أفل نجم الدولة الأموية وقوض ملكها... وقامت على أنقاضها الدولة العباسية التي اتخذ مؤسسوها من الدعوة إلى نصرته أهل البيت ورفع المظلومية - عنهم مظلة لتحقيق أطماعهم.

فلما تهيأت لهم الظروف وسنحت الفرصة انقضوا على عرش الخلافة مخلصين وراءهم تلك الشعارات التي كانوا يرفعونها.

فبلك أن يسلموا الأمر إلى أهله.. خلعوا ما كان في رقابهم من البيعة و نصبوا أنفسهم أئمة للأمة المحمدية.. فحذوا حذو من قبلهم من السلالة الأموية بل فاقوهم بمراحل.. فأظهروا من الفساد في الأرض والاستهتار بأوامر الله ما يعجز عنه الوصف.

وهنا كان على الدعاة من أهل البيت أن يواصلوا ذلك الدور الذي نهجوه مع الدولة الأموية .. فيخرجوا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر معالم الدين .. لينفوا عن هذا الدين تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين.. وجعلوا في كل عصر ينتدبون خيارهم للقيام بهذا الأمر.. فتوالت ثوراتهم في مشارق الأرض ومغاربها.. وجعلوا يبذلون من أجل هذا الهدف السامي والرفيع أنفسهم وخيار أصحابهم وشيعتهم..

وفي أواخر القرن الثالث الهجري كانت الأمة الإسلامية تعيش في أسوأ أيامها.. فقد ضعف مركز الخلافة العباسية في العراق وانتشر الفساد وظهر الانحراف في الدين.

وكان من أشد المناطق سوءاً في تلك الفترة من التاريخ هي البلاد اليمينية التي كان الدين قد طمست معالمه في بعض مناطقه .. وتحولت إلى جاهلية جهلاء يحكمها قانون الغاب .. فهياً الله لهذه البلاد الطيبة رجالاً من أهل بيت النبوة بلغ من العظمة الإنسانية المنتهى .. فعلاً فوق كل



وصف وفاق كل ثناء.

فتعالوا لنعيش في هذه السطور مع قصة حياة ذلك  
الإمام العظيم.. والتي دارت أحداثها - منذ الولادة وحتى  
الموت- في عدد من المناطق بدأت من جبال الرس على  
مقربة من مدينة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم..  
ونختمت في مدينة صعلة من بلاد اليمن الميمون.



# الباب الأول

## الفصل الأول

(١)

خيم الليل على تلك القرية المتناثرة المنازل .. الواقعة  
على سفوح جبال الرس .. وبدأت أنوار مصابيح الزيت  
المتواضعة تظهر هنا وهناك من خلال نوافذ البيوت .. وأدى  
الرجال صلاة العشاء في مسجد القرية .. وبدأ الجميع في  
العودة إلى ديارهم.

وأخذت المصابيح تنطفئ واحداً تلو الآخر .. ولف  
الظلام جميع بيوت القرية .. واسترسل الناس في نوم

عميق.. وساد الهدوء في أنحاء القرية.. فلا شيء يُسمع  
إلا بعض أصوات الحيوانات أو صفير الرياح التي كانت  
تهب بين لحظة وأخرى لتضيف إلى الظلام ووحشته شيئاً  
من البرد.

وما كاد الليل ينتصف حتى بدأ شيخ طاعن في السن  
كان يسكن إحدى تلك الديار يتململ في فراشه.. وكأن  
شيئاً ما قد أيقظه.. فأطل بنظره من النافذة ونظر إلى  
النجوم.. فعرف أن الوقت الذي اعتاد أن يستيقظ فيه  
قد حان.

فأشعل فتيل المصباح.. وقام فتطهر ثم أقبل إلى مصلاه..  
وكان اللمع يسيل على خده ثم يغيب بين شعر لحيته ليزيد  
وجهه تألؤاً ونوراً إلى نوره.

فجعل يصلي تارة.. ويقرأ القرآن أخرى.. ثم يدخل في  
مناجاة عميقة وطويلة.. يبث فيها شكواه إلى الله ويكثر فيها  
من الاستغفار.

وقبيل طلوع الفجر أيقظ من في الدار.. ثم خرج إلى مسجد القرية.. وما هي إلا لحظات حتى أشار إلى رجل ممن كان في المسجد أن يؤذن.. وارتفع صوت المؤذن: الله أكبر.. الله أكبر.. حي على الصلاة.. حي على خير العمل.. وصلى الجميع.. وتفرق الناس.. وبقي الشيخ في محرابه ومعه بعض أهل بيته يتلون كتاب الله حتى طلعت الشمس.

وقام الشيخ من محرابه في وقار وخشوع وشفثيه تتحركان كأجنحة الفراش بذكر الله سبحانه.. فالتجه إليه كل من بقي في المسجد يسلمون عليه ويسرون معه.

ودخل الدار ودخل الجميع معه حيث كان من العادة أن يعطيهم درساً في ذلك الوقت.

جلس الإمام القاسم بن إبراهيم<sup>(١)</sup> في صدر المجلس

---

(١) هو الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)

وتخلق الجميع حوله .. وأنظارهم متعلقة بوجهه .. فأطرق  
الشيخ وسبح في تفكير عميق.

فبإدراكه أحد أولاده - وكان يسمى محمد بن القاسم -

بالسؤال:

- عافك الله يا أبي .. هل هناك من أمر يشغلك؟

- لا شيء يا محمد .. ولكن تذكرت ما قد مر بي  
حتى استقرارنا في هذه القرية .. فأسأل الله أن ينتقم لنا  
من هؤلاء الولاة الظلمة .. فوالله لقد شردونا زمناً طويلاً  
وقتلوا منا خلقاً كثيراً... فوالله يا أبنائي ما استقرت في  
هذه البلدة إلا وقد تنقلت في البلاد شرقاً وغرباً .. ومنذ  
بلغت سن السادسة والعشرين وأنا أتقل من بلد إلى  
بلد.. فقد أرسلني أخي محمد بن إبراهيم رحمة الله عليهما  
للدعوة له بأرض مصر فبلغني مقتله على أيدي  
العباسيين وأنا هناك .. فجعلت أتخفي وأنتقل من منزل  
إلى منزل ومن قرية إلى أخرى .. وبقيت على تلك الحال

عشر سنوات لا أفارق مصر حتى شدد عبد الله بن طاهر  
والي مصر في طلبي.

محمد بن القاسم: ولكن ما الذي جعلك يا أبي تبقى طوال  
هذه الملة في بلاد مصر؟

الإمام القاسم: قلة ذات اليد .. وأخوة مؤمنون رجوت أن  
ينصر الله بهم الإسلام .. فمهما نسي المرء من الإخوان  
والأصحاب فلا يمكن أن أنسى ذلك الإسكافي<sup>(١)</sup> الذي  
أواني وعرض نفسه للخطر من أجل سلامتي ...

والتفت الإمام القاسم إلى رجل كان يجلس عنده يدعى  
أبو عبد الله الفارسي وكان هو خادم الإمام القاسم (ع)  
ورفيقه يلازمه في السفر والحضر وقال له:

- حدثهم يا أبا عبد الله بقصة ذلك الأسكافي.

أبو عبد الله الفارسي: اشتد بنا الطلب وضقت بنا  
المسالك ونحن نختلفون خلف حانوت إسكافي من خلص

---

(١) صانع ومصالح الأخذية.

الزيدية .. فإذا بمنادٍ ينادي يبلغنا صوته يقول: برئت النمة  
من آوى القاسم بن إبراهيم .. ومن دل عليه فله ألف  
دينار .. ومن الثياب كذا وكذا.

والإسكافي مطرق يسمع ويعمل ولا يرفع رأسه.  
فلما ذهب ذلك المنادي .. أقبل علينا الإسكافي ..  
فقلت له:

- أما ارتعت؟!

فقال الإسكافي:

- ومن لي بارتياحي منهم .. والله لو قرّضت بالمقاريض  
بعد رضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عني في  
وقاييتي لولله بنفسي ما باليت بذلك.

محمد بن القاسم: سبحان الله ما أعظم إيمانه! إسكافي  
ويبلغ هذه الدرجة من الإيمان والصبر؟ أين لنا برجال  
كهذا في أيامنا!!!

دار الإمام القاسم - عليه السلام - ببصره في المجلس  
فلم ير في الحاضرين ولده الأكبر الحسين بن القاسم  
فالتفت إلى ولده محمد قائلاً:

- أين أخوك الحسين؟ ما الذي شغله عن مجلسنا هذا  
اليوم؟

محمد بن القاسم: لقد صلى معنا الفجر ثم انصرف.. لعله  
انشغل ببعض أمور أهله.

لم يكذب محمد بن القاسم (ع) يكمل كلامه حتى دخل  
الحسين بن القاسم من باب الدار وسمع شطراً من كلام  
أخيه.

الحسين: بل ها أنا قد أقبلت عليكم بما شغلني  
عنكم.. فسلام من الله عليكم والمعدرة منكم. فما شغلني  
عنكم إلا هذا - وأشار ببصره إلى شيء بين يديه.

كان الحسين بن القاسم (ع) يحمل طفلاً ملفوفاً بقطعة  
قماش بين يديه.. وأقبل على أبيه فوضع الطفل بين يديه..



وجعل يقبل رأس أبيه.

نظر الإمام القاسم إلى المولود فقبله وضمه إليه .. ثم  
عوّذه .. وأذن وأقام في أذنيه .. وجعل ينظر إليه ويدعو له.

رفع الإمام القاسم رأسه إلى ابنه الحسين قائلاً:

- ما أسميته؟

الحسين: أسميته يحيى.

الإمام القاسم: لقد ذكرتني أخاك يحيى - رحمه الله ...

وترقرقت الدموع في عينيه وسالت على خده .. فقد كان

للإمام القاسم ولد يسمى يحيى مات قبل زمن.

وجعل الإمام يعن النظر في وجه الغلام .. وكأن شيئاً

لفت انتباهه .. ثم قال:

- هو والله (يحيى) صاحب اليمن.

محمد بن القاسم: أتقصد أنه صاحب الأثر المروي عن

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .. وعن

## أمير المؤمنين؟

الإمام القاسم: نعم .. فقد بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه أشار إلى بلاد اليمن .. وقال: «يخرج من هذا النهج رجل من ولدي اسمه يحيى الهاذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحيى الله به الحق ويميت به الباطل».. والذي يجعلني أجزم أن هذا المولود هو صاحب اليمن بشراً أراه في وجهه .. وخبراً رواه لي عبد الله بن موسى .. قال: حدثني بشر بن رافع - ورفع الحديث إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - قال: «يا أيها الناس .. سلوني قبل أن تفقدوني.. أيها الناس أنا أحلمُ الناس صغاراً.. وأعلمهم كباراً.. أيها الناس .. إن الله تبارك وتعالى بنا فتح وبننا ختم.. أيها الناس .. ما تمر فتنة إلا وأنا أعلم سائقها وناعقها ... ثم ذكر فتنة الثمانين ومائتين فيخرج

رجل من عترتي اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلاً كما  
ملأت جوراً يميز بين الحق والباطل .. ويؤلف الله قلوب  
المؤمنين على يديه كما يتألف فرع الخريف .. انتظروا في  
الأربع والثمانين ومائتين في أول سنة واردة وأخرى  
صادرة) .. ونحن الآن يا أبنائي في خمسة وأربعين ومائتين  
فيكون سنهُ في تاريخ الرواية ٣٩ سنة عند خروجه  
وظهور أمره .. فاحرصوا عليه فعسى الله أن ينصر به  
الدين ويصلح ما أفسده المفسدون من أمور هذه الأمة ..  
وعسى أن يتحقق به ما عجز عنه السابقون له من  
أهل بيته.

استبشر الحاضرون بما سمعوه وسَبِحَ الفكر مع تلك  
العبارات التي أعادت إلى المؤمنين الأمل بقرب الفرج ..  
وسبحوا بخيالهم لحظات مع طلائع ذلك الجيش القادم من  
أعماق المستقبل البعيد .. وكأن ذلك الطفل رغم صغر سنه  
أصبح جيشاً بأسره.

ومضت سنة كاملة من ذلك اليوم الذي دار فيه هذا الحوار.. وما زال الجد يرقب حفيده ويحوطه بحنانه.. ويوصي به أبناءه.

كان الجد يتمنى أن يمتد به العمر حتى يرى حفيده في مقدمة الطلائع يقود جيشه المنتصر تخفق فوقه رايات الجهاد معلنةً عن إشراقة فجر جديد.

وقبل أفول شمس آخر يوم من عام ٢٤٥ هجرية كان الإمام القاسم بن إبراهيم -عليهما السلام- يودع هذه الحياة ليترك حفيده يكمل الدور الذي أفنى الإمام القاسم أيام عمره سعياً إليه.

كان الإمام القاسم (ع) قد خلف بعده أسرة كبيرة معظمهم من الفضلاء والعلماء.. فكان له ستة أولاد. هم: محمد، والحسين، ويحيى العالم، وإبراهيم والحسن، وإسماعيل، كانوا غاية في العلم والورع.. فمنهم من استقر في المدينة

ومنهم من تفرق في البلاد الإسلامية لنشر العلم والمعرفة.  
واستقر في جبال الرس جوار المدينة مجموعة منهم ..  
منهم أبو عبد الله الحسين بن القاسم .. وأخوه الإمام محمد  
بن القاسم الذي بلغ من العلم مرتبة رفيعة.

(٢)

مضت الأيام وتلتها شهور وأعوام بعد وفاة الإمام  
القاسم بن إبراهيم عليهم السلام .. وتلك الأسرة الطاهرة  
تتواصل مع جماهير الأمة في خوف ووجل .. فنفوذ الدولة  
العباسية كان قد امتد في أرجاء البلاد الإسلامية ...  
وسيطر عليها.

وبين فترة وأخرى يتغير الخلفاء في بغداد - عاصمة  
الخلافة العباسية - فتؤمل الأمة في الخليفة الجديد خيراً ..  
وترجو بقدومه تغير حالها وصلاح أمرها.

ولم يكن أهل البيت (عليهم السلام) أحسن حالاً من  
غيرهم فتارة يشتد الأمر عليهم .. وتارة تخف عليهم وطأة  
الظلم .. فقد بلغ الأمر بالخليفة المتوكل أن أمر بطمس قبر  
الحسين (ع) فحرثه وزرع عليه وسقاه .. وأقام على الطرق  
المؤدية إليه الحرس والعسس يسومون من يقترب منه  
ألوان العذاب.

وجعل المتوكل يسعى في إيذاء أهل البيت وكل من  
يتقرب إليهم .. وولّى على المدينة رجلاً من أرذال العرب  
يقال له عمر بن فرج .. فبالغ في الإساءة إلى أهل البيت  
(ع) ... ومنع الناس من الإتصال بهم أو الجلوس إليهم ..  
وأغلظ في العقوبة لكل من سعى إلى برّهم.

فساءت أحوالهم .. وضائق معاشهم .. حتى كان الجماعة  
من أهل البيت يتناوبون في الثوب الواحد يصلون فيه لا  
يجدون ما يسترون به عوراتهم.

كانت المآسي تصب على أهل البيت صباحاً .. فترى الولاية

يقتبعون آثارهم، ويسفكون دماءهم، ويهتكون حرمتهم.

وتوالت الثورات في شتى البلاد الإسلامية يقودها أهل البيت (ع) محاولين بذلك رفع هذا الظلم الذي أثقل كاهل الأمة وعلى رأسها أهل البيت وشيعتهم.

وسقط الكثير من الشهداء من دعة الإصلاح .. الذي جندوا أنفسهم لرفع رايات الجهاد .. وقيادة الأمة لاستعادة حررتها.

وتغير الحال في عهد الخليفة المنتصر .. فبعد أن قتل المتوكل عام ٢٤٧ هجرية .. تولى ابنه المنتصر ليبدأ عهداً جديداً .. وحاول المنتصر أن يتجنب سيرة أبيه فبدأ خلافته بالإحسان إلى أهل البيت وشيعتهم فقسم بينهم الأموال .. وأمن أهل البيت فخرجوا من ديارهم وبشوا على الأمة شيئاً من علومهم.

ولكن الأمر لم يطل فقد مات المنتصر في ربيع الثاني عام ٢٤٨ للهجرة .. فتولى الخلافة بعده الخليفة الملقب

بالمستعين .. ليسل على أهل البيت سيف البغي والجور من جديد .. فعاد أهل البيت (ع) إلى سابق عهدهم من التخفي والإستتار .. وإبراز علومهم إلى الناس في الخفاء .. ودعوة الناس في السر .. فقد قتل يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي عليهم السلام .. ومعه أمة من أهل البيت وشيعتهم بعد أن خرج ثائراً ومنتصراً لدين الله ومجداً لنهج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .. وكان رجلاً عظيماً يحبه الناس ويدينون له بالولاء .. حتى أنه لما قتل لم يصدق الناس ذلك .. بل خرج الصبيان يصيحون في الطرقات (ما قتل ولا فر، ولكن دخل البر).

كل هذه الأحداث كانت تملأ أصدائها الكون ضجيجاً فيتحدث بها الخاص والعام والصغير والكبير .. فمظلومية أهل البيت وشيعتهم صارت أمراً مشهوراً يعلمه الجميع.

وكان ذلك الطفل العلوي الهاشمي يحيى بن الحسين بن



القاسم عليهم السلام يعيش تحت ظل أبيه وعمه اللذين  
تفرغا لتعليم الناس وتبصيرهم بلحق.. وهو يسمع أخبار  
أهل بيته ومآسيهم ويلاحظ سحابة الحزن تلك التي ما  
انقشعت يوماً من وجه أبيه منذ بدأ يميز ويدرك الأشياء.

كان الحسين بن القاسم يلقن ابنه العلم ويصحبه إلى  
حلقة الدرس.. فيلمس فيه الجد والهمة العالية.. فيؤمل أن  
تتحقق بشارة أبيه في ولده.

وأدرك الفتى الهاشمي رغم حداثة سنه أين يكمن الداء...

فرغم استياء الأمة من ولايتها وعلمها بما هم عليه من  
الفساد والتلاعب بمصلحتها.. إلا أن الناس قد كرهوا  
الخروج عليهم والقتال لهم فمن يضمن لهم أن لا تتكرر  
نفس المأساة كما هو الحال مع بني العباس.. فبالأمس ثارت  
الأمة على بني أمية.. وأسلمت الأمر إلى بني العباس..

فكانوا أسوأ حالاً من بني أمية.

ولقد فقدت جماهير الأمة الثقة في كثير من أولئك الذين يخرجون لحرب السلطة الغاشمة .. فهم بين طالب للملك ساعٍ وراء الدنيا لا يكاد أن يتم له شيء من الأمر حتى يفرط في طلبها وينسى وعوده وأمانيه التي نصرته الأمة لأجل تحقيقها .. أو رجل ضعيف متردد يسقط في أبسط امتحان .. ومن أول مواجهة.

أمّا رجال الجهاد من أهل البيت (ع) فقد مزقهم حكام الدولة العباسية في البلدان وتتبعوهم في كل الأمصار .. حتى صار الالتقاء بهم أو بث دعوتهم من الأمور المستصعبة .. فبنو العباس لا يمكنونهم من التحرك ... ولذلك استطاعوا إخماد ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى قبيل ظهورها .. واستسلمت الأمة الإسلامية لواقعها المأساوي.

ولقد أدرك يحيى بن الحسين (ع) هذا كله ومنذ ذلك

الحين بدأ في إعداد نفسه لحمل الأمر الذي يراه أنه أمانة في عنقه .. فجعل لا يترك موقفاً يستطيع أن يُبرز فيه علمه وقوته إلا فعل .. لعل الله أن يمن عليه باليوم الذي يقود فيه هذه الأمة لنصرة دين الله .. فيجد الناصر والرجل الواثق بشخصيته وقوته فيعيد إليهم الأمل في التخلص من هذا الواقع الفاسد.

وما إن بلغ من العمر عدداً من السنوات لا تزيد على العشرين حتى برز في العلم والبلاغة والفصاحة.

ولكن ما كان ذلك كله مما يفهمه عامة الناس .. فالعامة لا ترى الرجل إلا في جسمه وقوته، وكان الإمام الهادي (ع) قد منحه الله من هذا الشيء العظيم ...

دخل سوق المدينة يوماً فأقبل على سوق الحبوب .. ووقف أمام أحد الباعة وقال له يحيى بن الحسين:

- ما طعامكم هذا؟

البائع: حنطة يا ابن رسول الله.

تقدم يحيى بن الحسين وأدخل يده في الحنطة ثم أخرجها  
وقد طحن الحب في يده فقال للبائع: بل دقيقاً يا عبد الله.

فذهل البائع وفغر فاه تعجباً وتعظيماً.

وذات مرة كان الإمام (ع) يقلب ديناراً في يده فضغطه  
حتى أثر في سكته.

وتناقل الناس الحديث عن قوة يحيى بن الحسين .. وصار  
يعرف بين أهل المدينة بقوة جسمه وشجاعته  
وفصاحة منطقته.

فقد أتى طبيب نصراني يزور الحسين بن القاسم -  
والد الإمام المهدي (ع) - وترك حمارة على باب الدار ..  
وأقبل الإمام المهدي (ع) فحمله على ظهره وأصعده إلى  
السطح ..

فلما خرج الطبيب جعل يبحث عن حمارة .. فقبل له: إن  
الحمارة أعلى الدار.

الطبيب - في دهشة -: ومن الذي أصعده إلى هناك؟

يحيى بن الحسين: أنا أيها الطبيب ولك عليّ إنزاله .. فإنما  
ينزل الحمار من سعد به.

فاشتهر هذا الخبر وصار مثلاً يضرب .. وتردد على  
ألسنة الناس: (إنما ينزل الحمار من سعد به).

وفرغ يحيى بن الحسين جميع وقته لطلب العلم.. فما بلغ  
السابعة عشر من عمره حتى كان قد بلغ من الإجتهد  
مرتبة.. حتى كان عمه محمد بن القاسم لا يناديه إلا بالإمام  
لما رأى من غزارة علمه وحسن بصيرته .. فلم يزد ذلك إلا  
تواضعاً.

## الفصل الثاني

لم تكن المدينة بمعزل عن أخبار سائر الأمصار الإسلامية .. ففي كل يوم جديد يحمل الواصلون إلى المدينة خبراً جديداً من هنا أو هناك .. فالفتن والقتل وفساد الولاية وفضائح الأمراء والنهب لأموال المستضعفين أصبح حديث الناس وشغلهم الشاغل.

كان الجميع ممن لا حول لهم ولا قوة يسمعون الأخبار وكأنه لا شأن لهم بأمر الأمة فالهم أن يسلموا في أنفسهم وأموالهم وعيالهم وليفعل الأمراء ما شاءوا.

ولكن قلوباً مؤمنة كانت تحترق لما آلت إليه أحوال الأمة.

فأسرة بني القاسم التي تسكن سفوح جبال الرس بالقرب من المدينة كانت قلوبهم تحترق المألحال الأمة ..

فمع كل خبر سيئ يطرق مسامعهم عن أحوال الناس ترى  
سحابة حزنٍ تغشى وجوههم.

وبينما الأمة على مثل هذا الحال إذ وردت الأخبار إلى  
المدينة بقيام رجل من أهل البيت (ع) يسمى الحسن بن  
زيد<sup>(١)</sup> في بلاد طبرستان ونواحيها، يحكم بكتاب الله وسنة  
رسوله، ويقيم الدين والعدل في رعيته.

وبلغ الإمام الهادي (ع) هذا الخبر فاجتمع بأهل بيته  
وعموته وخاطب أباه قائلاً:

- يا أبي.. لقد بلغني قيام رجلٍ من أهل بيت النبوة  
يسمى الحسن بن زيد.. قد حسنت سيرته في الناس..  
فما رأيك يا أبي أن نخرج إليه مع أهلنا علناً نجد عنده  
أهلاً وشيعة، نعلمهم مما علمنا الله.. عسى الله أن  
يفيدهم منا فقد عفن العلم في صدري كما يعفن الخبز

---

(١) هو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي  
بن أبي طالب كانت دولته في طبرستان بين عامي ٢٥٠هـ و ٢٧٠هـ.

في الجرة إذا طرح بعضه على بعض، ثم لم يقلب؟  
الحسين بن القاسم: رضيناك يا ولدي لنا إماماً .. فما رأيت  
فلا أرى أحداً من أهل بيتك يخالفه..  
التفت الإمام الهادي (ع) إلى عمه محمد والحسن وأخوه  
عبد الله بن الحسين.. فتكلم محمد بن القاسم (ع) فقال:  
- قد سمعت ما قال أبوك، ولن ترى منا من يخرج  
عن رأيك.

فشكر لهم الإمام الهادي (ع) ذلك .. وتفرقوا بعد أن  
أجمع رأيهم على الرحيل إلى آمل.

\* \* \*

وفي الصباح الباكر شدوا مطاياهم .. وتوجهوا نحو  
طبرستان .. وواصلوا مسيرهم متخفين حتى وصلوا إلى  
(آمل) .. فنزلوا هناك في خان<sup>(١)</sup> يسمى خان العلاء.

فلما بلغ الإمام وأهل بيته (عليهم السلام) ذلك المكان

(١) الخان: مكان يأوي الغرباء والمسافرين شبيه بالفندق في عصرنا الحاضر.



جعل يتنقل في مجالس العلماء والشيعة.. فعرفوا فضله  
وغزارة علمه.

فجعل الناس يزدحمون في ذلك الخان حتى كاد أن يسقط  
سقفه .. وذاع صيت الإمام .. فاستشعر محمد بن زيد النبي  
كان قد آل إليه الأمر بعد مقتل أخيه الحسن بن زيد شيئاً  
من الوحشة .. فقد هجره الناس وأقبلوا على الإمام الهادي  
يحيى بن الحسين (ع).

فكتب وزيره الحسن بن هشام إلى الإمام: «إن ما يجري  
يوحش ابن عمك محمد بن زيد».

فلما قرأ الإمام الهادي (ع) هذه الرسالة قال: ما جئنا  
ننازعكم أمركم .. ولكن ذكر لنا في هذا البلد شيعة وأهلاً  
فقلنا: عسى الله أن ينفعهم بنا.

ثم جمع أهل بيته وأمرهم بالتجهز للخروج .. وجعل  
يحثهم على الرحيل حتى تركوا بعض متاعهم عند الغسال  
وصانع الأحذية.. وخرجوا مسرعين وما إن وصلوا إلى

بعض الطريق حتى لحقهم أناس من أهل البيت (ع)  
وشيعتهم القاطنين في أمل وهم يحملون الطعام واللحم  
وشيء من الملابس.

\* \* \*

ودخل الإمام بغداد فجعل يتتبع أخبار الشيعة هناك ..  
وينظر في أحوال الناس .. فيغتم لما يرى من فساد وتعامل  
بغير ما أنزل الله.

وفي أحد الأيام - ولعله يوم الجمعة - سمع أن علماء  
وفقهاء بغداد يجتمعون في بيت أبي حازم القاضي  
يتحاورون في شتى فنون العلم .. وكان قد سمع الإمام عنه  
أنه ممن يذهب مذهب أهل البيت عليهم السلام في العدل  
والتوحيد فأحب الإمام أن يحضر مجلسه ويسمع بعض قوله.

فلبس الإمام ثيابه ودخل مع الناس إلى ذلك المجلس ..  
فلما دخل رمقه بعض الفقهاء بنظرة غرابة - لأنهم لم  
يكونوا قد رأوه من قبل .. ونظرة إجلال لما رأوا عليه

من مهابة.

ولكن الإمام أسرع في الجلوس بين عامة الناس مخافة أن يتعرف عليه أحد جواسيس الخليفة العباسي المعتمد.

فدخل القاضي وبدأ الناس والفقهاء في طرح المشكل والغامض من المسائل وجعلوا يتداولون الآراء والكل يدلي بحجته .. والإمام صامت لا يتكلم.

وعندما كان الإمام يلحظ أن فقهاء القوم قد أدوا ما عندهم ويخاف أن يخرجوا من المسألة على غير هداية .. كان يستأذن في الكلام .. فيورد اختياره في المسألة .. ثم يتبعه بالحجة والدليل في ثبات وفصاحة أذهلت الحاضرين وجعلت الكثير منهم يتساءل: من هذا الفتى!؟

واستمر المجلس والإمام يدلي برأيه في كل مسألة .. وكان يجلس في مؤخرة مجلس القوم .. فقام بعض الفقهاء من مجلسه الذي كان في صدر المجلس فقال:

- ظننت هذا صدر المجلس فإذا هو هناك - وأشار إلى

مكان الإمام الهادي (ع).

وأقبل الفقهاء نحو الإمام (ع) يعتذرون له لعدم إداركهم لمقامه ولتقصيرهم في حقه.

فلما أدرك الإمام أن أهل المجلس قد التفتوا إليه خاف أن يشتهر أمره ويبلغ السلطان فيؤذيه .. فأسرع في النهوض وخرج من ذلك المجلس .. فجعل الناس يسأل بعضهم بعضاً: من الفتى؟ وأين يسكن؟! حتى أخبرهم رجل ممن كان قد سمع بالإمام أنه من أهل الشرف من ولد الحسن بن علي عليهم السلام.

فقال الفقهاء: قد علمنا والله أن ما خالط قلوبنا من هيئته إلا لمنزلة له.

فقال أبو حازم: إن يكن من هؤلاء أحد - يقصد أهل البيت (ع) - يكون منه أمر فهذا.

فجعل الناس يقولون: نعرفه في الأسبوع القادم - إن شاء الله ... وتفرق الناس عن ذلك المجلس.

فلما اشتهر أمر الإمام في بغداد خرج الإمام من بلاد  
العراق عائداً إلى المدينة.

فلما كان الأسبوع الثاني واجتمع الناس في ذلك المجلس  
جعلوا يرقبون كل من دخل عليهم رجاء أن يكون هو  
الفتى الهاشمي .. شوقاً إلى سماع كلامه والإستزادة من علمه..  
ولكنه لم يحضر.

وأرسل أبو حازم من استقصى خبره .. فعلم أنه خرج  
مخافة غدر السلطان الذي كان يفتك بمن اشتهر أمره من  
أهل هذا البيت .. وكل من يخاف منهم على ملكه  
وسلطانه.

وبعد أن عاد الإمام إلى أهله في جبال الرس عكف على  
التأليف والتدقيق في مسائل العلم فألف كتاب (الأحكام)  
إلى قبيل باب البيع.

## الفصل الثالث

(١)

وهناك في صنعاء كان أبو العتاهية عبد الله بن بشر -  
الملك اليماني - يجلس في قصره تعلق وجهه الكأبة والحزن ..  
وقد أحاط به جماعة من صلحاء قومه وعشيرته ووجهائهم.

أبو العتاهية: كلما قلنا قد ذهبت الفتنة وساد الأمن  
واستقرت البلاد ظهرت فتنة جديدة ...

وهمس بكلماته الأخيرة بنبرة اليأس المستسلم  
للأمر قائلاً:

- الله أعلم متى تستقر الأوضاع؟

أحد الأعيان: لا عجب أيها الأمير فإذا صار رؤوس العشائر  
وكبار القوم يبيغون في البلاد فساداً فما ظنك بالسفهاء؟

أبو العتاهية: والله ما تركت جهداً إلا وبذلته من أجل  
استقرار البلاد .. ولكن كل ذلك كان يذهب  
أدراج الرياح.

عباد التميمي: والله إنني كلما تأملت في حالنا ذكرت ما  
يحكيه المؤرخون عن أيام الجاهلية الأولى فقد أصبح  
الرجل منا لا يأمن على أهله وعياله وماشيته.

أمية بن سدوس بن شيبان: لا سامح الله معاوية بن أبي  
سفيان .. فمنذ أرسل بُسر بن أرطأة مع سفهاء الشام  
وناصره غوغاء اليمن وذبحوا الناس في كل مكان ..  
والبلاد في فتن متتالية .. فقد جرأ السفهاء وقوي  
جانبهم.

رجل آخر: إن الثأر لا يزال منذ أن أحدث معاوية  
هذا الجيش.

أبو العتاهية: كم قد أساءوا إلى المسلمين!! فمهما نسي المرء  
فلن ينسى أفعال محمد بن يوسف .. فوالله لقد سام

الناس سوء العذاب .. فكم من امرأة انتهك حرمتها ..  
وسيد قوم أذله .. وطفل لا ذنب له ذبحه؟!

وتذكر شيخ طاعن في السن أن هارون الملقب  
بالرشيد- لما أرسل حماد البربري إلى اليمن قال له: أريد أن  
أسمع أصوات أهل اليمن .. فجعل ينزل بهم من الظلم  
والتعذيب ألواناً فيشكونه إلى الخليفة في بغداد فلا يسمع  
لهم ... ثم تأوّه الرجل وقال:

- كان الناس يؤملون خيراً في بني العباس .. ولكن لقد  
أثبت الزمان أنهم أقرب شيء إلى أسلافهم من بني  
أمية .. فلو لم يفعلوا شيئاً إلا تولية حماد البربري على  
اليمن وما فعله في أهلها لكفى ذلك إهانة لهم.

أبو العتاهية: وهكذا سنظل على هذا الحال فهم يرسلون  
الولاة ليذيقون الناس حرّاً سيّاطهم .. فلا هم يأخذون  
على يد السفية فيردوه ولا هم يكفون أذاهم عن  
صلحاء الناس .. فيتركونهم يأمرن بالمعروف وينهون  
عن المنكر .. ولكن يا قوم .. هل سنظل هكذا نندب



حظنا ولا نضع لهذه الفتن حداً؟ ألا ترون أنه كلما دعونا الناس ومشائخ العشائر إلى وحلة الصف وإذابة الفتن اعتقدوا أننا إنما نريد الملك وإخضاع الناس لنا؟!.. لا بد أن نفكر بجذ.. فإنني أرى الناس يفني بعضهم بعضاً.. فليعد كل منا إلى داره وليفكر في مخرج للناس فإنني أخاف أن نُسأل يوم نلقى الله عما نحن فيه.. وموعدنا الغد في مثل هذه الساعة.

\* \* \*

عاد الجميع إلى ديارهم وخلاً أبو العتاهية - عبد الله بن بشر - بنفسه فجعل يسبح في تفكير عميق استعرض ماضي البلاد اليمنية منذ دخلها الإسلام على يد المبعوث الأول إلى اليمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.. وكيف تعلقت القلوب به منذ اليوم الأول لمعرفته وجعلت تلهج بذكره والثناء عليه.. حتى حاول معاوية إخماد وقطع تلك الألسن.. وبعث بسر بن أرطأة بجيشه الغاشم إلى اليمن فقتل عشرة آلاف رجل ممن كانوا يدينون بالولاء لعلي بن أبي طالب..

ورغم الضغوط التي توالى على اليمينيين إلا أنهم ظلوا يدينون بالولاء لعلي وأهل بيته .. ولن ينسى أحد حرب صفين ودور اليمينيين الرائد في هذه الحرب حين هبوا لنصرة الإمام علي (ع) والجهاد في صفه وقال فيهم قولته المشهورة:

ولو كنت بواباً على بلب جنّة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وخطرت في رأس أبي العتاهية فكرة قطعت عليه حبل تفكيره .. فنهض الأمير واقفاً وقد أشرق وجهه ولمعت عيناه .. وجعل يحدث نفسه: ليس لها إلا رجل من ذريته ... ثم نادى أحد غلمانه:

- يا غلام ادع وجهاء الناس من خولان وهمدان.

الغلام: أمرك يا مولاي.

\* \* \*

اجتمع الوجهاء والصلحاء والوزراء من خاصة قومه .. فأمر الغلمان بالخروج وأغلق الباب.

أحدهم: عسى أن لا يكون هناك ما يزعج الأمير.

شيخ آخر: لم يمض وقت طويل منذ أمرتنا بالإنصراف  
وفارقناك فماذا جد يا مولاي؟

أبو العتاهية: يا قوم .. لقد جمعتمك اللحظة ولم أوخركم إلى  
الغد .. كما كنت قد واعدتكم لشيء أطلعكم عليه  
فاسمعوا مني:

- لقد جلست بعد خروجكم في مكاني لم أتحرك خطوة  
وجعلت أستعرض حال البلاد اليمينية منذ دخلها  
الإسلام على يد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ..  
فرأيتهما لم تستقر لأحد من الولاة مثل ما استقرت وانقاد  
الناس له ولولواته .. فأنتم تعلمون محبة الناس له  
ولأبنائه.. فرأيت أن نرسل إلى رجل من أهل هذا البيت  
ممن يثق الناس في صلاحهم وحسن سيرتهم لعل الله  
يصلح أمر هذه البلاد على يديه .. فنخفت أن أترك الأمر  
إلى الغد فيحضر مجلسنا من أخاف مخالفته وسوء نيته

فأحببت أن أبث إليكم الخبر وأستشيركم في الأمر.. فلا يعلمه أحد سواكم .. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «استعينوا على أموركم بالكتمان».

فأشيروا عليَّ أيها القوم.. فوالله ما أظن في قومي من هو خير منكم.

الشيخ الطاعن في السن: جزاك الله خيراً أيها الأمير.. فقد أحسنت وأجدت.. فكأنني بأهل اليمن لا ينقادون لرجل منهم.. فكل قبيلة ترى أنها أحق بهذا الأمر.. ولكن إذا أتاهم رجل من أهل الصلاح وممن عرف بالزهد في الدنيا اجتمعوا عليه.

سكت الرجل ثم التفت إلى من في المجلس قائلاً:

- فما رأيكم يا قوم؟

نظر بعضهم إلى بعض وظهرت عليهم ملامح الرضى.

ثم قام أحدهم فتكلم قائلاً:

- الرأي ما رأيتم .. ولكن من ترون هذا الرجل الذي  
يمكن أن يقوم بهذا الأمر؟

أبو العتاهية: لا أعتقد أنه يقدر على هذا الأمر ويصبر عليه  
إلا ذلك الفتى الهاشمي الساكن في بلاد الرس من بني  
القاسم بن إبراهيم .. فقد بلغني من أخباره ما جعلني  
أطمع أنه يقبل دعوتنا .. وقد اشتهر أهل بيته بالزهد في  
الدنيا والتقشف .. وهو من خيارهم فهو رغم حداثة  
سنه سيدُّ أهل بيته .. وقد علمت أنهم لشلة توقيرهم  
له لا ينادونه إلا بالإمام رغم وجود أبيه وأعمامه  
وكونهم من ذوي الفضل والعلم.

(٢)

دخل الحسين بن القاسم على ولده يحيى وبأدبه  
بالسؤال قائلاً:

- إلى أين بلغت يا ولدي في كتابك؟

رفع الإمام رأسه فإذا أبوه هو المتكلم فنهض إليه وقبل  
يديه وأجلسه في مجلسه... ثم قال لأبيه:

- إني أعد العلة يا أبي لأبدأ في كتاب البيع - إن شاء  
الله... ولكن ما هذه الكتب التي في يدك يا أبي؟ هل  
من أخبار جديدة؟

الحسين بن القاسم: خيراً - إن شاء الله - يا ولدي .. هذه  
كتب جماعة من وجهاء أهل اليمن من خولان وهمدان  
يدعونك للخروج إلى بلادهم للأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر .. فهم يشكون كثرة الفتن ويرجون بخروجك  
إليهم صلاح أمرهم.

يحيى بن الحسين: ولكن يا أبي هناك في أهل بيتي من هو  
خير مني.. فاصرف عني هذا الأمر .. فإني زاهد فيه.

الحسين بن القاسم: يا بني.. إن القوم قد قصدوك باسمك  
ووصفك.. ولا أرى لك مخرجاً عند الله إن رديتهم .. ولا  
أعتقد أن في أهل بيتك من هو خير منك وأقدر على

هذا الأمر .. فأعدَّ العلة .. وأجب داعي الله .. والتحق  
بركب أسلافك.

يحيى بن الحسين: الرأي ما رأيت يا أبي فأمهلي أياماً أعدُّ  
العلة للسفر.

الحسين: لا بأس عليك .. ولكن أسرع فإن رسل القوم  
ينتظرونك.

أسرع الإمام في إعداد نفسه .. وحمل ما يكفيه وأهل بيته  
من الطعام والأموال حتى لا يحتاج إلى طلبه من أحد فيظن  
البعض أنه خارج لطلب متاع الدنيا.

\* \* \*

ولم تمض أيام حتى انطلق الجميع في قافلة صغيرة تحمل  
الإمام الهادي (ع) وبعضاً من أهل بيته .. فجعل الإمام  
يلاطف الرسل ويحدثهم كأنه يعرفهم منذ زمن.

ووصل الإمام ومن معه من أهل بيته إلى اليمن  
سنة ٢٨٠هـ .. فجعل ينتقل من قرية إلى قرية .. فيصلح بين

الناس ويعلمهم معالم دينهم .. ويعمل على ترسيخ الإخاء  
في الله .. فهدأت الفتن وتراحم الناس.

وجعل كلما انتقل من قرية إلى أخرى أظهروا له من  
حسن الإستقبال والرضاء والإمتثال ما يسره منهم.

فعم الخير البلاد التي نزلها وكثر المطر ونما الشجر.

ولكن هذا الوضع ما كان ليسر أولئك الذين كانوا  
يعيشون من وراء تأجيج نار الفتن بين العشائر .. فجعلوا  
يسعون في خراب البلاد وإثارة النعرات القبلية .. حتى  
جعل البعض يقول: أهاشمي من الرس لم يملك حتى جيش  
تخضع له القبائل وتنقاد له البلاد؟!!

وجعل البعض من أصحاب العقول الساذجة يتجاوب  
مع هذا القول ويمكنه من قلبه.

كل هذا والإمام يتواصل مع أبي العتاهية في السر خوفاً  
من بعض الفاسدين في أسرة أبي العتاهية ممن كان منغمساً  
في اللذات وكارهاً للخول الإمام الهادي (ع) من آل يعفر



وآل طريف.

كان الإمام الهادي (ع) قد توجه نحو صنعاء حتى وصل إلى قرية الشرفة من قرى بني حشيش القريبة من صنعاء.

وفي أحد الأيام خرج أحد أمراء آل يعفر من أبناء عموم أبي العتاهية إلى القرى القريبة منها.. وشرب هذا الأمير الخمر وخرج يعربد في شوارعها حتى علم كل أهل القرية .. فما كان من أهل القرية إلا أن رفعوا أمره إلى الإمام ...

وأرسل الإمام في طلبه .. لكنه امتنع عن الحضور وأعانه على ذلك بعض أقاربه .. فكرر الإمام طلب إحضاره لتأديبه وإقامة الحد عليه.

فتساءل أحدهم في دهشة وقال مخاطباً الإمام:

- أيجد وهو من بيت الإمارة؟ أتريد أن تفضحننا به.

وحاول الإمام أن ينفذ حكم الله .. فلم يجد له ناصرًا على هذا الأمر.

وهنا جمع الإمام الهادي (ع) أعيان القوم .. وقال لهم:

- إنني راحل عن بلدكم هذا فوالله لا أكون كالشمعة تحرق نفسها وتضيء للآخرين..!

وفعلاً جمع الإمام الهادي أهله من ليلته ومع طلوع نور الصباح كان الإمام يغادر تلك البلاد عائداً إلى أهله بالحجاز.

فالفساد والإمام كانا ضدين لا يجتمعان فما يحيى بن الحسين (ع) الذي رضع الإلتزام وحب الدين مع حليب أمه بالرجل الذي يمكن أن يتهاون في حكم شرعي .. ولو كان قيمة هذا أن يصير إماماً على كل العالم ... إنما هي السيرة المحمدية والسماة العلوية.

وعندما راجعه بعض من أهل الوجاهة .. أعلن منهجه في بضع كلمات حين التفت إلى القوم .. وقال: إن هي إلا سيرة علي أو النار.

وعاد إلى جبال الرس لينعم بالحياة في أوساط أهله الذين ودعهم بالأمس ممثلاً لأمر الله وناشراً لدينه.

## الفصل الرابع

(١)

من ذاق حلاوة العدل مرة .. من الصعب عليه أن يعود  
ليشرب من كأس الجور والظلم مرة أخرى.

ولذلك ضج الناس عندما علموا برحيل الإمام واستغل  
السفهاء رحيله ليمارسوا مهنتهم المعتادة من الإفساد بين  
الناس وبث الفرقة في أوساطهم .. فاشتعلت البلاد فتناً  
وزاد في تأججها قلة الطر الذي نتج عنه قلة الثمر ..  
فتناهب الناس وانتشر القحط والفقر.

وعاد الناس ليعيشوا المأساة من جديد ويحوظهم الخوف  
والشقاء .. فقد اشتعلت الحرب بين بني سعد وبني ربيعة  
من قبائل اليمن حتى صار القتلى يعدون بالعشرات.

فلتجمع مشائخ القبائل وحاولوا الإصلاح فلم يزد

الأمر إلاّ سوءاً .. فقد اقتتلوا في فترة الصلح حتى كاد الناس أن يفني بعضهم بعضاً لكثرة القتلى .. فهب مشائخ القبائل يستنجدون بملك اليمن في صنعاء.

أحد المشائخ: لقد أتيناك أيها الأمير ونهر من الدم يجري فقد عجز كل من حضر من أعيان القبائل إخماد هذه الفتنة.

أبو العتاهية: آه.. لو أن يحيى بن الحسين كان هنا ما سُفك محجم دم .. ولكن كأنّ بنا أمة لا يُراد لها الخير. وجعل يلتفت إلى ابن عمه الذي كان سبباً في مغادرة الإمام لليمن.. وواصل كلماته بحزن قائلاً:

- والآن من منكم يا آل يعفر سيرتحل للإصلاح بين هذه القبائل المتحاربة قبل أن يفني بعضهم البعض الآخر؟

انتصب أحد الأمراء فقال:

- أنا يا مولاي.

وفي الحال أعد جيشاً كثيفاً يعد بالآلاف وانطلقوا  
مسرعين حتى وصلوا إلى بلاد صعلة بين بني سعد وبني  
ربيعة فحجزوا فيما بينهم .. ثم دعوا وجهاء القوم من  
الطرفين.

ولكن نزعة الثأر كانت قد طغت عليهم فقد كانوا  
بمحااجة إلى من يوقظ فيهم الضمائر ومن يثير رابطة  
الدين ..

ولكن صاحب هذا الدور كان قد غادر البلاد.

فما كاد الفريقان يتقابلان حتى التحموا .. واستمر  
القتال بينهم والأمير اليعفري واقف لا يدري ماذا يفعل؟ ..  
حتى بلغ قتلاهم عشرين قتيلاً بين يدي الأمير .. فعاد  
الأمير خائباً خائر القوى لا يدري ما الذي يصنع؟

(٢)

كانت القلوب قد تعلقت بالإمام الهادي (ع)، ووجد  
الراشدون من أهل اليمن أنه الإمام الذي يستطيع أن

يجمع شمل اليمينين، وأن يحارب بهم البدع التي كانت  
منتشرة.. لذلك قرر أبو العتاهية أن يجمع الوجهاء من أهل  
دولته ليستشيرهم في الأمر.. فلختر جمعاً من أصحابه ..  
وأرسل إلى كل من يثق برجاحة عقله من القبائل اليمينية  
وجمعهم عنده ثم قال لهم:

- يا قوم لقد حبس عنا المطر .. وأجذبت الأرض ..  
وهاجت الفتن .. وعجزنا عن إصلاح الحال .. ولست  
أرى لهذا الأمر إلا أن ندعو يحيى بن الحسين من جديد ..  
ولكني أعلم أنه لن يقبل بهذا الأمر إلا إذا وجد الناصر  
المخلص ووجد فينا من يمثّل لحكم الله .. فأعينوني قبل  
أن تخرج الأمور من أيدينا.

وصاح الجميع: نعم الرأي ما رأيت.

أبو العتاهية: فاجمعوا لي من ترون من خياركم ليسارعوا في  
الذهاب إلى الحجاز واقنع الإمام بالعودة.. فإن كل يوم  
صار أسوأ من الذي قبله.

وكتب أبو العتاهية رسالةً شكى فيها للإمام حال الناس  
وأقسم له أغلظ الأيمان أن ينصره على الحق وأن يجاهد بين  
يديه كل من خرج على شرع الله.

واستعد الرسل للانطلاق إلى جبال الرس .. وخرج أبو  
العتاهية يودع القوم ويقول لهم:

- سيروا على بركة الله .. واعلموا أن قومكم قد علّقوا  
رجاءهم عليكم فلا تعودوا بغير الإمام فتخيبوا رجاءهم.

فانطلقوا يقطعون الفيافي والقفار .. يسافرون النهار  
ويضيفون إليه جزءاً من الليل حتى بلغوا جبال الرس وقد  
أنهكهم السفر .. فاستقبلهم آل القاسم أحسن استقبال ..  
وأكرمهم وأسكنوهم خير ديارهم.

وبعد أن استراحوا من وعناء السفر دخلوا على الإمام  
وحوله أهل بيته فتكلم متكلم القوم .. فقال:

- يا إمام .. لقد تركتنا فقل مطرنا .. وأجدبت أرضنا ..  
وقتل أهلنا .. وعاث المجرمون فساداً في أرضنا .. فأتيناك

معتذرين عما سلف منا .. معاهدين الله أن نكون لك  
أوفياء .. نحارب من حاربت ونسلم من سلمت .. على أن  
ترجع معنا. وهذه رسائل ملك اليمن ورؤوس قومنا بين  
يديك فعجل فإن قومنا يكاد بعضهم أن يفني بعضاً.

الإمام: الحمد لله على كل حال من الأحوال.. عسى الله أن  
يصلح حالكم قد سمعت منكم فأمهلوني الليلة أنظر في  
أمري وأستخير ربي.

وبقي الإمام ليلته تلك يقلب نظره في الخروج وعلمه..  
فكان كلما تذكر ذلك الفساد الذي يشمل البلاد اليمنية  
وتلك العناصر التي كانت تثير الفتن استثقل الخروج.. إلا  
أنه رأى أن الحجة قد لزمته مع وجود الناصر..

ودخل عليه عمه محمد بن القاسم وقال له:

- على أي شيء استقر رأيك يا ولدي؟

الإمام: أخاف أن تكون الحجة قد لزممتني فادع لي يا عمه  
بالتوفيق لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين.



محمد بن القاسم: لن ننسأك من الدعاء إن شاء الله.

(٣)

استقر رأي الإمام على الخروج .. ولكن تجربته الأولى في الخروج جعلته يدرك ضرورة وجود رجال مخلصين يعتمد عليهم. ولذلك جعل ينظر فيمن يمكن أن يصطحبه من أهل الصلاح .. فأبوه وعمه صاروا شيخين كبيرين كل منهم لا يحتمل السفر وأعباء الولاية.

فأرسل الإمام الهادي (ع) إلى من يثق به من أهل الصلاح والبأس الذين يمكن أن يعتمد عليهم.

فكان ممن أجابه إلى هذا الأمر محمد بن عبيد الله العلوي من ولد العباس بن علي بن أبي طالب، ويحيى بن الحسين بن يحيى من ولد عمر بن علي بن أبي طالب.

ومنذ أن وصلتهم رسالة الإمام الهادي للخروج معه صاروا يعدون العلة .. ويودعون الأهل ليخرجوا إلى جبال

الرس للقاء الإمام النبي كانوا قد سمعوا الكثير عنه وعن أسرة آل القاسم المشهورة بالعلم الغزير والورع والشجاعة.

أخذ محمد بن عبيد الله العلوي يودع أهله .. ثم أوصى ولده علي قائلاً:

- اسمع يا ولدي .. لقد دعاني داعي الجهاد في سبيل الله وأنت يا ولدي لا زلت صغير السن لم تجب الله عليك حُجة فابق هنا بين أهلك فإذا رأيت في نفسك استطاعة على الخروج فأقبل عليّ مع من يخرج معك من أهل بيتك فوالله إني لا أرى شيئاً أعظم عند الله من الخروج في سبيله ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ودّع محمد بن عبيد الله ولده علي وقد رسم له الخطوط العريضة للحياة الرسالية والجهاد.. وسالت دموعة مزجت بحزن الوداع وعزيمة الإيمان من ابن وأب لا يدري الواحد منهما هل يكتب له أن يلقي الآخر بعد هذا الوداع.

وأقبل محمد بن عبيد الله .. ويحيى بن الحسين بن يحيى  
العلوي على الإمام .. فاستبشر بوصولهما وأعد لهما مسكناً  
إلى جواره وجعل يتردد عليهما ويسامرهما.

وارتفع صوت المؤذن: (الله أكبر .. الله أكبر .. حي على  
الصلاة ... حي على خير العمل).

فخرج محمد بن عبيد الله ويحيى بن الحسين بن يحيى إلى  
المسجد فإذا بالإمام وجميع أهل بيته قد سبقوهما إليه.

فاستقبلوهما وحيوهما .. وجعل محمد بن القاسم عم  
الإمام يلاطفهم ويحادثهم.

فلما أقيمت الصلاة تقدم الإمام إلى عمه .. فقال: تقدم يا  
عم صل بنا.

التفت محمد بن القاسم (ع) إلى الإمام وقال:

- سبحان الله يا بني لا يجوز أن أتقدم عليك.

الإمام: قد جعلت الأمر إليك يا عماء فتقدم فصل بنا.

فتقدم الإمام محمد بن القاسم (ع) فصلى بالناس ..  
وبعد أن أكمل صلاته جلس يذكر الله ويؤدي أواراده ..  
فلما أتمها إلتفت وعلامات التأسف بادية على وجهه .. ثم  
قال للإمام:

- يا ابن أخي .. استغفر لي فإني قد تقلمت عليك .. مع  
أنك كنت أحق بالتقدم مني.

الإمام: غفر الله لك يا عمه .. لا تظن بنفسك هذا الظن.

فذهل الحاضرون لما رأوا من تقدير محمد بن القاسم -  
رغم فضله وعلمه - لابن أخيه.

\* \* \*

عاد الجميع إلى منازلهم وجلس محمد بن عبد الله ورفيقه  
في دارهم كل منهم يصف إعجابه بشخصية الإمام.

وما هي إلا لحظات حتى دخل عليهم عبد الله بن  
الحسين - شقيق الإمام المهدي (ع) - فجعل يسامرهم

ويجاذبهم أطراف الحديث .. وفجأة تأوّه وقال في حزن:

- لا أرى إلا أن الإمام قد أضرب عن الخروج وعزم على  
صرف رسل أهل اليمن فإنما عانه منهم في سفرته  
الماضية الكثير.

التفت يحيى بن الحسين بن يحيى إلى محمد بن عبيد الله  
في حزن وقال:

- كأني بفرحتنا لن تتم بالجهاد بين يدي الإمام ..

ثم وجه الخطاب إلى عبد الله بن الحسين قائلاً:

- إن لم يخرج ويجاهد فهل ترى أن في أهل بيته من يقوم  
بهذا الأمر ويعطيه حقه؟

ساد الوجوم والصمت في المجلس .. ثم استأذن عبد الله  
وخرج من عندهما.

ونام من في الدار تلك الليلة والأسى والحزن يملأ  
صدورهم لما سمعوا من عزم الإمام على عدم السفر.

وأشرقت شمس اليوم الثاني والجميع ينتظرون قرار  
الإمام الذي سيحدد وجهتهم .. إما العودة إلى المدينة  
أو الانطلاقة للجهاد في سبيل الله.

جعل محمد بن عبيد الله يحدث يحيى بن الحسين بن يحيى  
العلوي .. وبصوت أقرب إلى الهمس قال له:

- اسمع يا يحيى إن كان الإمام يحيى هو صاحب اليمن  
الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
وبشر به أمير المؤمنين فإننا نلقى قوماً يسمون أنفسهم  
بنو معاوية بن حرب من قيس .. أخبرني بذلك أبي  
وقال: إنها أحد علاماته.

فقال يحيى بن الحسين بن يحيى - في يأس وتحسر:

- هذا إن كان هناك خروج إلى اليمن.

محمد بن عبيد الله: إنني متفائل بأن الإمام لن يترك  
الخروج .. فقد انجلت عني سحابة الحزن والكآبة.

وتتم يحيى بكلمة (إن شاء الله) وهو يجهز بعض أمتعه.

\* \* \*

وارتفعت الشمس وملأت الدار ضياءً فإذا بطرق  
خفيف على باب الدار .. فاتجه يحيى بن الحسين بن يحيى  
لفتح الباب فإذا هو سليم خادم الإمام الهادي (ع).

يحيى: خيراً يا سليم علام استقر رأي الإمام؟

سليم: باسم الله قوموا فتجهزوا وشدوا على رواحلكم فقد  
استقر رأي الإمام على الخروج.

أشرق وجه يحيى وأقبل على محمد بن عبيد الله يعانقه  
فرحاً مسروراً وهو يقول: الحمد لله .. فالآن نخرج للجهاد في  
سبيل الله.

\* \* \*

انطلقت القافلة بموكب الإمام الهادي وأصحابه متوجهة  
نحو اليمن .. وخرج سادات أهله وأكابرهم يشيعون ذلك  
الموكب، فيهم عمه محمد بن القاسم (ع) .. وأبوه الحسين

بن القاسم (ع) وغيرهم..

محمد بن القاسم - وهو يودع الهادي: يا أبا الحسين.. لو  
حملتني ركبتي لجاهدت معك.. يا بني أشركنا الله في كل  
ما أنت فيه في كل مشهد تشهده وكل موقف تقفه.

وما إن توارى الموكب عن الديار حتى اقترب محمد بن  
عبيد الله من الإمام ثم قال له:

- كنا بالأمس قد أصابنا الهم والحزن يا مولاي حين علمنا  
أنك انثيت عن الخروج إلى اليمن.

الإمام: نعم يا أبا جعفر.. كنت قد انثيت عن الخروج  
وعزمت على أن أصرف رسل أهل اليمن للذي كان  
بدا لي من شره أهل اليمن وقله رغبتهم في الحق..  
فكنت عازماً على التخلف.. حتى إذا كان قبل خروجي  
بليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في  
المنام وهو يقول لي: يا يحيى مالك متثاقلاً عن الخروج؟!  
انهض فمرهم فلينقوا ما على الأرض من هذه



الأوساخ.. فعلمت أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد  
بذلك غير المعاصي التي على الأرض من العباد..  
فضمنت له النهوض.. فنهضت.



## الفصل الخامس

(١)

خرج الموكب الذي يمثل شعاع النور المتوجّه إلى اليمن  
وشيعه الأهل والأحباب إلى خارج البلدة.

فركب الإمام مع كوكبة فريضة من رجال العلم والإيمان ..  
أمثال ولده محمد .. ويوسف بن محمد الحسيني .. ومحمد بن  
عبيد الله .. ويحيى بن الحسين بن يحيى العلوي .. وإدريس  
بن أحمد من ولد جعفر بن عبد المطلب .. وعشرة من  
خدم الإمام.

وعلى حدود تلك البلدة التي ولد وعاش وترعرع فيها  
الإمام وقف ليودع مشائخه وأهله وداع من لا يضمن  
لنفسه العودة إليهم.

وسالت دموع الوداع تظللها عزائم الرجال والإيمان

بوجوب الدفاع عن دين الله.

وانسابت الكلمات لترسم المشهد الحالم بدولة يعز الله  
بها الإسلام وأهله ويند بها الشرك والظلم وحزبه.

وانطلق الإمام مع أصحابه يقطعون الطريق ويسارعون  
في الإرتحال لا ينزلون على بلد إلا نزلت معهم الهداية  
والخير .. فكان الإمام يعظ الناس في كل موقف وفي كل  
مكان يقف فيه ..

وازداد القوم توقيراً واحتراماً للإمام لما رأوا من فضله  
وتواضعه وغزارة علمه.

فكان ينزل نفسه منهم منزلة الأب أو الأخ يلاطفهم  
ويتلمس حالهم ويشاورهم في الأمور.

ولكن لمسة حزن كانت تعلو وجه الإمام كلما ذكر حال  
الامة .. فتنهمر عيناه بالدموع .. بل قد يخرج فيعزل عن  
أصحابه ويبكي بكاء المرأة الثكلى حزناً على أمة محمد  
صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان محمد بن عبيد الله يسأل كل قبيلة عن اسمها باحثاً  
عن تلك القبيلة التي أخبره أبوه أن صاحب اليمن ينزل  
عليهم في رحلته إلى اليمن.

وفي أحد أيام الرحلة أقبل على أصحابه متهلل الوجه  
بإيادي السرور.. فاستبشروا خيراً.

فالتفت محمد بن عبيد الله إلى يحيى بن الحسين بن يحيى  
فقال:

- أتذكر ما حدثتك به ونحن في الدار قبل بداية رحلتنا؟

يحيى: أتقصد الخبر الذي ترويه عن أبيك؟

محمد: نعم.. نعم.. فإن هذه القبيلة بنو معاوية بن حرب.

يوسف بن محمد: عمّ تتحدثان؟ إنني لا أفهم شيئاً!!

التفت محمد إلى يوسف ومن كان بجواره من أصحاب

الإمام وقال:

- أبشروا أبشروا يا إخواني .. فوالله لأنتم تسرون في ركب صاحب اليمن الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمير المؤمنين (ع) .. فقد أخبرني أبي قبل زمن طويل أن من علامات صاحب اليمن أنه ينزل على قومٍ من بني معاوية بن حرب .. وهانحن في أوساطهم.

\* \* \*

جعل الإمام يحث أصحابه على المسير ويرغبهم في الأجر بين اللحظة والأخرى .. ويذكرهم إخوانهم الذين يقتتلون.

وبينما الركب يحث الخطى ويسارع في الإرتحال توقف الإمام للصلاة على مشارف بلد تسمى (زُبَيْد) .. فخرج إليه جمعٌ من القوم فجعلوا يرفعون أصواتهم بالشتائم ويرجمون أصحاب الإمام ويسدون عليهم الطرقات والإمام منهمك في صلاته .. وقد أحاط به أهل هذه البلدة من كل جانب.

فلما فرغ الإمام من صلاته تقلد سيفه وخرج إليهم  
فباشره أحدهم بحجر في وجهه وشهروا سيوفهم .. وأرادوا  
الفتك به وبأصحابه.

فحمل عليهم فطعن أحدهم واحتوى جماعة برمح  
فأسرهم وتفرق البقية مذعورين .. فلما تفرق القوم أمر  
بإحضار بعض ثياب كانت معه فألبسها الأسرى وساقهم  
معه ساعة يعظهم ويعلمهم معالم دينهم ثم أرسلهم  
ليعودوا إلى أهلهم.

(٢)

ومع إشراقة صباح اليوم السادس من صفر سنة ٢٨٤  
هجرية كان الإمام ينزل بأصحابه في بلاد صعلة على  
مقربة من ديار المتحاربين من بني سعد وبني الربيع.

محمد بن عبيد الله: عجباً لقد سمعت عن اليمن وخصوبتها  
وخضرة أرضها .. فما بلي أرى غير ما كنت أسمع .. فإذا

كان هذا وقت الزرع والبلد على هذا الحال من الجذب  
فما حالها في سائر السنة؟!

يوسف الحسني: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا  
بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وهناك حيث الإمام واقف ينظر المعركة الدائرة بين بني  
سعد وبني الربيعة.. أقبل محمد بن الهادي على والده فسأله:

- ماذا نفعل يا أباي؟ ألا ندخل على القوم؟!

الإمام: يا بني .. بل ننتظرهم حتى يخرجوا إلينا .. فذلك خير  
لنا ولهم .. فعسى الله أن يهديهم بنا.

وما هي إلا لحظات حتى بدأ القوم في الخروج إليه في  
خوف وحذر.. كلُّ يحذر غدر صاحبه.

فجعلوا يُسَلِّمون على الإمام .. وكلُّ يتحيز إلى جهة..  
فلما لم يبق أحد من الطرفين إلا حضر .. أقبل عليهم الإمام  
قائلاً: يا قوم فليقبل كل منكم على صاحبه فليصافحه فما  
يليق بالمسلمين إذا التقيا إلا أن يتصافحا.

فجعل كل منهم يصفح الآخر ويسلم بعضهم  
على بعض.

ثم أمر الإمام الهادي (ع) بمصحف فوضع بين يديه.. ثم  
وقف فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي  
 وآله .. وجعل يذكر الناس بالله ويعاتبهم ويذكرهم بوحلة  
 دينهم ورسولهم وكتابهم .. حتى ضج الناس بالبكاء  
 وابتلت لحاهم بالدموع.

فلما أحس الإمام منهم الندم والتوبة .. فتح المصحف  
 وقال:

- فليتقدم بنو سعد ليعاهدوا الله أن يتركوا الفتنة  
 والعداوة لإخوانهم من بني الربيعة ...

فتقدموا فحلفوا بالله على النحو الذي لقنهم الإمام.

ثم أقبلت بنو الربيعة فحلفوا جميعاً بمثل ما حلف  
 إخوانهم من بني سعد.



ثم أمرهم أن يحلفوا له على السمع والطاعة والمعاضدة  
والمناصرة فبايعوه في موضعهم ذلك. واختلط الناس بعد  
طول قطيعة فتصافحوا وتعانقوا وتعالّت أصوات القوم  
بالتكبير والحمد والثناء.

فأرسل الله عليهم خيره وأمطرت السماء وأخصبت  
الأرض واكتست البلاد بالخضرة حينما اكتست القلوب  
بالمودة وساد العدل في البلاد.

وحلت الركبان خبر قدوم الإمام إلى اليمن .. فخرج  
الناس أفواجاً لاستقباله مستبشرين بقدومه لما عرفوا من  
فضله وعدله.

فلما اجتمع إليه الناس وتعالت أصواتهم بالبيعة له ..  
وقف فيهم خطيباً وهو يحمل المصحف بيمينه .. فحمد الله  
وأثنى عليه، ثم قال:

بيني وبينكم هذا آية .. فإن خالفت ما فيه بحرف فلا  
طاعة لي عليكم بل عليكم أن تقاتلونني .. فاضمنوا لي أن

تصلحوا لي سرائركم وإذا أمرتكم بشيء إئتمرتكم .. إذا -  
والله - أوقفكم على الحجمة البيضاء وأضمن لكم الجنة ..  
ولكم عليّ أن أقلمكم عند العطاء وأتقلمكم عند اللقاء ..  
والذي لا إله إلا هو .. وحق محمد ما طلبت هذا الأمر وما  
خرجت اختياراً .. ولا خرجت إلا اضطراراً لقيام الحجمة  
عليّ ولوددت أنه كان لي سعة في الجلوس عن هذا الأمر  
الذي أنا فيه مزوم بزلمه .. إذا جنّ عليّ الليل أفكر فيما  
عملت ما كان مني في يومي فأنظر نفسي في ذلك فأردد  
على نفسي وأقول فعلت كذا وكان كذا أصلح .. ولو لم  
أكن في هذا الأمر لم يمنعني ترك الفكر في هذا الأمر حتى  
أنظر نفسي فيه طويلاً فما وجدت إلا الخروج أو الكفر بما  
أنزل الله على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والله لو علمت أن أحداً في هذا العصر أقوم بهذا الأمر

مني أو عرفت من أهل البيت من يقوم بأفضل مما أقوم به  
لاتبعته جداً حيث كان وأقاتل بين يديه ولكني لا أعلمه.  
وبهذه الكلمات القليلة الحروف الكثيرة المعاني رسم  
الإمام منهجه .. وعرفَّ الناس الغاية من خروجه.



## الباب الثاني

### الفصل الأول

(١)

خرج أهل صعلة لإستقبال الإمام معلنين له الولاء..  
مستبشرين بقدومه .. مشتاقين إلى عدله.

فدخل صعلة في صفر سنة ٢٨٤هـ .. واستأجر بيتاً  
متواضعاً.. ولبس أبسط الثياب .. يسير مع الناس فيعظهم  
ويعلمهم أمور دينهم ويصلي بهم ويجلس معهم .. وكأنه  
واحد منهم. يوقر أهل العلم ويشفق على المساكين ويجلس  
للناس ليفصل في قضاياهم.

وفي أحد الأيام خرج الإمام الهادي (ع) ليجلس في فناء داره.. ووقف أمام شجرة كانت في فناء الدار يحدث نفسه: كنت أعهد هذه الشجرة يوم دخولي الدار على خير من هذا الحال فمالي أراها قد ساء حالها؟! ثم واصل حديثه مه نفسه- وكان شيئاً عظيماً قد حدث- وقال: وكيف ينتصر هذا الدين بمن لا يراعي الله في حقوق الناس!؟

ثم أسرع إلى الماء وسقاها وجعل يتعاهد بها على الدوام.. فلما أثمرت جعل يحمل ثمرها إلى صاحب الدار.  
صاحب الدار: ما هذا يا مولاي؟

الإمام الهادي: هذه محصول الشجرة التي في دارك النبي استكريناه منك.

نظر صاحب الدار إلى الإمام الهادي (ع) في حبه وإعجاب ثم قال في نفسه: جعلت فداءً لهذا السيد.

\* \* \*

خرج الإمام من عند صاحب الدار وجعل يسير راجعاً

إلى داره .. فلمح فارساً يقبل من بعيد فوقف ينتظره مخافة أن يكون صاحب حاجة فيتأخر في قضائها له إن دخل الدار.. فلما اقترب الفارس إذا هو من أبناء عموم الإمام الهادي (ع)، فاستقبله الإمام الهادي (ع) واستبشر بقدمه، وأدخله إلى داره..

فلما كان موعد الطعام .. دعا الإمام الهادي (ع) بالطعام فأدخل عليهم .. فلما رأى ضيفه الطعام ضحك.

**الإمام الهادي:** ما الذي يضحكك يا ابن العم؟

**الضيف:** جعلت فداك ما كنت في بلدك ترضى أن تقدم مثل هذا لمن يأتيك .. بل كنت تقدم أصنافاً من الطعام.

**الإمام الهادي:** هذا كثير مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يا ابن العم.

لقد كان كل هم الإمام الهادي (ع) هو الإصلاح والإرشاد ما استطاع.. وليس تولى الملك والإمارة غايته ولا هدفه .. وهذا هو ما جعله يسير في الناس بهذه السيرة

المتواضعة .. فرغم طاعة الناس له ووجود الأموال بين يديه لم يظهر عليه من مظاهر البذخ والرفاهية شيء .. بل جعل يزداد في التقشف حتى صار يتساوى مع أبسط فقير في البلاد.

\* \* \*

جلس الإمام في مجلسه بعد أن صلى الفجر يجيب على أسئلة الناس ويعلمهم أمور دينهم ويوضح لهم ما التبس عليهم.. حتى طلعت الشمس ثم اتجه إلى داره فإذا بعدد من الفرسان قد وقفوا ينتظرون خروجه من المسجد وعليهم آثار السفر .. فلما رأوه نزلوا وسلموا عليه.

الإمام الهادي: هيا يا قوم لندخل إلى الدار فإني أرى السفر والتعب قد أخذ بكم كل مأخذ.

ودخلوا مع الإمام في داره المتواضع فجعل لا يكاد ينقطع عن الترحيب بهم وجعل يصلح لهم أماكنهم ويقدم إليهم الطعام بيده الشريفة مظهراً السرور برؤيتهم .. وكأنه يعرفهم منذ زمن بعيد .. فلما انتهى من إطعامهم خرج من

بيته مع ضيوفه.

وفجأة صاحت به عجوز كانت تنتظره على  
قارعة الطريق:

- يا ابن رسول الله .. يا ابن رسول الله ...

توقف الإمام الهادي (ع) والتفت إليها في حنو  
ورحمة قائلاً:

- لبيك يا أخته .. ما الذي جعلك تقفين هنا؟

العجوز: مظلومة يا ابن رسول الله .. مظلومة ...

وجعلت تكرر هذه الكلمة وتقترب منه حتى أمسكت  
بطرف ثوبه.. فقال لها أحد أصحاب الإمام:

- هلا تركت طرف ثوبه يا امرأة وكلمتيه من مكانك؟

الإمام الهادي: اتركها يا هذا لتشكو حاجتها.

فجعلت العجوز تنجيحيه وهو واقف ينصت لها في  
تواضع واهتمام .. فلما انتهت من كلامها التفت الإمام



الهادي (ع) إلى محمد بن سليمان .. فقال له:

- اصطحبها يا محمد وأحضر خصمها للنظر في أمرها.

ثم مضى الإمام إلى مجلسه النبي يجلس فيه للحكم والقضاء فما جلس حتى هياً مكان ضيوفه ثم جلس .. كل هذا وهو لا يدري من هم ضيوفه ..

فلما استقر بهم المجلس قام أحد الضيوف فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله .. ثم امتدح الإمام الهادي (ع) على ما رأى من حسن تعامله وشكر له حسن استقباله لهم .. ثم قال:

- اعلم يا إمام أنه قد بلغنا من عدلك وفضلك ما رجونا أن يصلح الله به أمرنا كما أصلح الله بك أمور غيرنا وسقى أرضهم .. وقد أتيناك بوجوه أهل همدان ونجران من شاكرك وثقيف ووادعة ويام والأحلاف وجماعة من بني الحارث ندعوك للدخول بلادنا، فإننا تركنا قومنا يتناحرون ويسفكون الدماء فنرجو أن تقبل دعوتنا

ونعدك ونعاهد الله أن ننصرك على عدوك .. وليست  
قبائل خولان بأحق بك منا فقد دعوناك وراسلناك  
ندعوك إلى الخروج إلينا كما فعلوا.

الإمام الهادي: أهلاً بكم يا أهل همدان فوالله ما خرجت  
وأنا أطمع في الراحة .. ولكن خرجت للإصلاح ما  
أستطعت .. ولو لم تأتونني لأتيتكم فأمهلوني حتى أعد  
العدة وأجهز الناس للخروج.

فلما اقترب وقت صلاة الظهر قام فتطهر وتقدم ليصلي  
بالناس .. ثم أمر أحد غلمانه أن ينادي في الناس: أين  
المساكين .. أين أبناء السبيل .. أين من له حاجة .. هل من  
سائل فيعطى أو من طالب حاجة فتقضى.

فقام رجل غريب وقال: أنا عريان .. فوقف الإمام معه  
طويلاً حتى أرضاه ثم كساه وأمر له بنفقة سابعة.

وجعل وفد قبائل همدان يرقبون الإمام الهادي (ع) في

حركاته وسكناته ومع كل موقف كانوا يزدادون إعجاباً  
بعده وتواضعه.

(٢)

وفي اليوم الأخير من شهر ربيع الثاني جلس محمد بن  
سليمان الكوفي وجعل يسبح في تفكير عميق يستعرض  
أحداث رحلته إلى اليمن مع الإمام الهادي (ع) وتلك  
المواقف التي صادفتهم .. وكان إلى جواره بعض إخوانه  
فالتفت إلى محمد بن سعيد قائلاً:

- كيف ترى أمر الإمام الهادي في هذه البلاد يا أخي؟

محمد بن سعيد: ماذا تقصد يا أخي؟

محمد بن سليمان: أقصد امتثال الناس لأمره ومراعاتهم  
لحقه .. وهل ترى الناس يحتملون عدله .. ويعينونه على  
تطهير البلاد من الفساد المنتشر فيها؟

محمد بن سعيد: أرى يا أخي أن هناك الكثير من الخيرين

الذين لن يألوا جهداً في مناصرته .. ولكن الذي يشغل  
بالي وأخاف منه هو تواضع الإمام الهادي الشديد للعامّة  
وللناس كافة .. فأخاف أن يجتريء عليه السفهاء وغوغاء  
الناس ممن عقولهم في عيونهم الذين لا يردهم إلا هيبة  
السلطان وبطشه .. فلو اتخذ ملبساً حسناً يليق بمقام  
الإمارة ويتميز به عن عامّة الناس .. فأنا أعرف الناس  
بأهل بلدي.

محمد بن سليمان: جزاه الله عن الإسلام خيراً .. إنه ليجاهد  
نفسه لكي يحذو حذو آبائه .. فهو القائل: (إن هي إلا  
سيرة علي أو النار).

محمد بن سعيد: أعلم ذلك يا أخي .. ولكن الزمان غير  
الزمان والناس غير الناس .. فالعامّة لا يفقهون شيئاً من  
أمر السلطان ولا يعرفون له قدراً إلا من مظهره.

عنبس الصعلي: أرى أن نشترى ثياباً تتناسب مع موقعه  
ونهديها إليه ونكلمه في هذا الأمر .. فهو أصلح للعامّة.

عبد الله بن حذيفة: وأعتقد أن الإمام إذا رأى المصلحة في ذلك لأمر الدين فإنه لن يتردد في فعل ذلك .. ولكن ألا ترون أن هناك أمراً آخر يجب أن نقنع الإمام أن يتولاه أحدنا بدلاً عنه.

محمد بن سليمان: ما هو هذا الأمر يا أبا عبد الله؟

عبد الله بن حذيفة: أما تلاحظون أن أمور الحكم والإفتاء والإصلاح بين الناس ومتابعة أخبار البلاد قد كثرت على الإمام ومع ذلك يحتاج أن يشتغل بأمر حلجات بيته فيذهب لشرائها بنفسه من السوق .. فما رأيكم لو أن أحدنا قام بهذا الأمر عنه؟

محمد بن سليمان: إذاً فلنحضر عنده بالغد ونعرض عليه الأمر ونصر على ذلك فلا أراه يقبل منا إلا إذا لمس في ذلك مصلحة للدين لا مجرد التخفيف عنه.

\* \* \*

وفي اليوم الأول من جماد الأول سنة ٢٨٤ هـ أمر بدعوة

الناس للخروج فهاهم بنفسه وأعدهم ميمنة وميسرة  
وقلباً. وكان فيهم رجل من فرسان اليمن ومشاهيرها يقال  
له محمد بن عباد الأكيلى فإنه التفت إلى الإمام وقال له:

- ما رأيت مثل هذه التعبئة.

فقال له الإمام الهادي:

- هكذا عبأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
أصحابه يوم بدر.

ثم وقف الإمام الهادي (ع) يصف لأصحابه أساليب  
الحرب يعلمهم كيفية الطعن بالرمح وكيفية الضرب  
بالسيف... ثم أخذ الرمح فأراهم كيف يطعن به فقال رجل  
منهم يدعى محمد بن بهار- وكان مشهوراً بالفروسية:-

- والله ما أحد يقدر على أن ينتقد الإمام أو يعيب عليه  
في فروسيته.

فتابعه محمد بن عباد الأكيلى قائلاً:

- ولا أن يفعل أحد بالرمح كما يفعل به!!

وبعد أن انتهى الإمام من تعليم الناس أساليب القتال عاد إلى صعدة وأمر الناس بالإنصراف.

وفي اليوم الثاني خطب الجمعة فحث الناس على الجهاد ورجبهم فيه.

\* \* \*

وفي ليلة السبت جلس الإمام في داره يعد أموره للخروج إلى نجران فدخل عليه محمد بن سليمان الكوفي وصاحبه.. فألقوا عليه السلام.. ثم جلسوا إلى جواره..

محمد بن سليمان: يا مولاي.. لقد جلسنا قبل يوم أمس أنا وأخوأي محمد بن سعيد، وعلي بن أبي عنبسة، ننظر فيما نحن فيه.. فرأينا الأمور تتهياً إن شاء الله فقد كره الناس الفساد وولاة الظلم.. ولكن أخي محمد بن سعيد يرى رأياً يريد أن يطرحه عليك ويشاورك فيه.

الإمام الهادي: تكلم يا محمد فالنصيحة حق لي عليكم ولكم  
عليّ مثلها.

محمد بن سعيد: يا مولاي.. إن بلدنا هذه ما عرفت منذ زمن  
إلا ولاية الجور.. فكان الوالي يخرج إليهم في هيئة  
السلطان قد لبس من أفخر الثياب .. وركب أفضل  
الجواد فيها به الناس ويمثلون أمره .. وأنت يا سيدي  
تخرج إلى الناس رث الثياب لا تلبس منها إلا ما خشن ..  
فلو اتخذت لك ثوباً تقابل به الناس فيهابك أولئك  
السفهاء الذين لا يرون الرجل إلا في ملبسه وثيابه.

أطرق الإمام الهادي (ع) بنظره إلى الأرض .. ثم رفع  
رأسه وتنفس الصعداء وقال:

- إنني أدرك ذلك يا محمد.. ولكني كنت أرجو أن أواسي  
فقير القوم بذلك.

فتقدم إليه محمد بن سعيد -وقد لمس من قول الإمام  
الموافقة- ووضع بين يديه بعض الثياب .. قائلاً:



- هذا هدية مني أرجو أن تقبلها مني يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي: بئسها يا محمد.

وجعل الإمام يقلبها وهو يقول:

- والله لو لا أنني أخاف أن يفسد أمر هذه الأمة لطرحت نفسي معهم نهاري كله إلا لوقت طهور أو قضاء حاجة .. وما صلّى بهم غيري .. وللبست أدنى اللباس وإنني لألبس الثوب الجيد من الثياب .. فأبدأ على نفسي الله أعلم ما أقول ولربما جلس الناس عندي فأفكر فيهم فأتمنى أن أكون جالساً معهم ثم أفكر في عاقبة الأمر فإذا أنا فعلت ذلك فسد الناس عليّ واستخفوا بموضعي .. ولو ذهبت الهيبة لذهب الإسلام.

علي بن أبي عبيسة: جزاك الله عنا ألف خير يا ابن رسول الله .. فما تفعله لنا كثير .. ولكن يا مولاي لا زال لي عندك طلب أرجو أن يكون فيه مصلحة للناس فأذن لي أن أحدثك به.

الإمام الهادي: تكلم يا علي.

علي بن أبي عنيسة: يا مولاي .. إن حاجة الناس إليك كثيرة.. وأعباء الإمامة تزداد .. وأراك تشغل نفسك بالذهاب إلى الأسواق لشراء حاجات أهلِكَ .. فلو تفرغت لأمر الأمة وكفأك أهدنا في هذا الأمر لكان ذلك أصلح للناس.

الإمام الهادي: لا بأس يا علي .. ولكن اسمع يا علي .. ما أشرت عليك: اتق الله تعالى وانظر فيما بينك وبينه فيما تشتري به لي .. لا تأخذ من أحدٍ شيئاً إلا بثمنه كما يشتري الناس لا تزداد لي شيئاً فتأثم .. فإني لست أريد ذلك منك وقد أخرجته من عنقي فاتق الله تعالى.

## الفصل الثاني

(١)

وفي خيمته بات الإمام ليلة الأحد خارج مدينة صعلة ومع بزوغ شمس يوم الأحد السادس من جماد سنة ٢٨٤هـ كان عسكر الإمام قد أعدوا العلة للإنطلاق نحو نجران يحثون الخطى فالفتنة المشتعلة كانت تنتظر الإمام ليخبو اشتعالها.

وبعد يومين من السفر توقف الإمام مع أصحابه في أعالي نجران.. ونزل تحت شجرة يستظل وأمر الناس بالنزول.. وكره أن يدخل البلاد إلا وقد أصلح بين الناس.

وما هي إلا لحظات حتى خرج إليه مشائخ العشائر من وادعة، وشاكر، وثقيف، ويام، والأحلاف.. فأظهروا السرور بقدومه وشكوا له حالهم وكثرة الفتن في بلدهم وأخبروه بطول الحرب بينهم وبين بني الحارث.. وأنه قد قتل فيها

الرجال وذهبت الأموال وقُطعت الطرق وانتهكت الحرم.

الإمام الهادي: ولكن أين بنو الحارث؟

بعض المشائخ: إنهم يسكنون قرية نجران على مقربة  
من هنا.

فأمر الإمام الناس بالركوب وركب معهم من حضرهم  
من مشائخ همدان .. فلما وصلوا إلى قرب قرية نجران ..  
خرج إليهم بنو الحارث ففرحوا به واستبشروا بقدمه ..  
وطلبوا منه النزول عليهم .. فاعتذر إليهم وطلب ممن  
النزول في مكانه ذلك ثم جمع المتخاصمين وخطبهم خطبة  
ذكرهم فيها بالله وبذهاب الأهل والولد وحقارة الدنيا  
وعظيم أجر الآخرة..

ثم أمر الإمام بمصحفٍ فوضع بين أيديهم فحلفوا على  
السمع والطاعة له وترك الفتنة.

ثم تصافح الناس وتسلحوا وتعافوا.

وطلعت شمس اليوم الثاني لتبث نورها على بلدٍ يسوده  
الأمن والعدالة والحب .. قد خمدت فيه نار الفتنة بعد  
طول اشتعال.

\* \* \*

بقي الإمام في نجران ينظر في مسائل الناس ويفقههم في  
الدين ويشاور مشايخ القوم فيما يصلح بلادهم  
ويكفيها الفتن.

وبينما هو جالس ذات يوم في داره ينظر في مسائل  
الناس فإذا بالناس يقبلون برجل سكران قد شرب الخمر.  
فاغتم الإمام ثم نظر إلى من حوله من أصحابه وقال  
اعزلوه حتى يصحو من سكره.

ولما خلا المجلس إلا من بعض خاصة الإمام .. تنفس  
الصعداء ثم قال:

- قد غمني أن آخذ هذا الرجل قبل أن أعذر أهل هذا  
البلد وأنذر.

أحدهم: إني أخاف إن أجريت عليه الحد أن يفسد علينا الأمر .. فالناس هنا لم يعتادوا إقامة الحدود.

آخر: ولعله من قوم لهم مكانة في الناس هنا.

الإمام الهادي: أو تظنونني أتهاون في حد من حدود الله .. فأغضب ربي وأحرق نفسي لكي أرضي الناس لا والله بل أضربه الحد.

ثم أمر به وأحضر فضرب ثمانين سوطاً علناً .. ثم أمر كاتبه فأملى عليه كتاباً أوضح للناس فيه الحدود .. وبصرهم تعاليم الدين وأمر أن يقرأ عليهم.

(٢)

بعد أن أنس الناس إلى عدل الإمام الهادي (ع) وورعه ودينه وأمطرهم الله بعد طول جذب واخضرت الأرض وأثمرت الأشجار .. جمع الإمام خيار القوم ثم وعظهم وبصرهم بحق الله في أموالهم واختار منهم جماعة لجمع زكاة الأموال.

الإمام الهادي: إنا لا نأخذ إلا التمر من التمر والحب من الحب .. ولا نستجيز غير ذلك ولا أتعدى سيرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقام إليه جماعة منهم وقالوا:

- جعلنا فداك إن خرص التمر أصلح بنا لما فيه من الرفق.

الإمام الهادي: لا بأس بذلك .. لولا أن جلدي رسول الله

صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرص المدينة وخير ما

خرصت لكم ولكن من يتولى هذا الأمر منكم.

أحدكم: يتولاها قوم منا أهل عدل وورع وأمانة.

الإمام الهادي: إذاً فاختاروهم.

فلما جمعت أموال الزكاة أمر بها فقسمت بين فقراء

البلاد ومساكينهم.

ولكن تلك الصدقات كانت أقل من أن تفيء بحاجة

الفقراء والمساكين مما جعل الإمام يتعجب ويعاود النظر في

الأمر .. فقد علم من الناس أن الزراعة كثيرة في هذا العام .. وأن الناس قد زرعوا كل أملاكهم ... فجمع خيار القوم بمن اختارهم لجمع الزكاة ثم قال لهم:

- يا قوم .. إن هذا العام عام خير قد كثر فيه الزرع والثمر .. وإني أرى الزكاة التي جمعت لم تسد شيئاً من حاجة الفقراء .. فهل في أصحاب هذه الأموال من لم يدفع زكاة ماله.

أحد القوم: ما من أحد من المسلمين إلا وقد دفع زكاة ماله.. ولكن ليس كل ما ترى من الأموال المزروعة هو للمسلمين فما للمسلمين فيها إلا قليل.

الإمام الهادي: فلمن تكون إذاً يا هذا؟

الرجل: هي لنصارى نجران يا ابن رسول الله .. فهم في كل سنة يشترون الكثير من أموال المسلمين.

الإمام الهادي: إذاً فهذه الأموال التي بأيديهم ليست منذ



عهد الجاهلية بل اشتروها من المسلمين.

الرجل: نعم يا ابن رسول الله.

رجل آخر: يا مولاي .. إن ما تأخذ من الأموال من زكاةٍ إنما هو شيء يسير وهنا من الناس من يعطي بطيب نفسٍ الكثير أفأخذ منهم ما يعطوناً؟

الإمام الهادي: لا والله .. لا أصلحتكم بفساد نفسي إن هي إلا سيرة محمد أو النار .. ولكن أنظر في الأمر لعلي أجد فيه ما يصلح الله به حال الناس.

\* \* \*

جلس الإمام في داره يقلب الأمر فقد اغتم لما علم من شراء النصارى أموال المسلمين .. فمعنى ذلك ضعف الإسلام والمسلمين.

وبينما هو يفكر في هذا الأمر دخل عليه حسن بن علي بن فطيم، وعبيد الله بن حذيفة، ومحمد بن عبيد الله.

فلما رأوا علامات الإكتئاب بادية على وجهه .. تقدم  
إليه محمد بن عبيد الله قائلاً:

- خيراً يا مولاي .. عسى أن لا يكون هناك ما يسوؤك.

**الإمام الهادي:** خيراً يا محمد .. إنما يشغلني يا أبا جعفر أمر

هؤلاء النصارى .. فإذا استمروا في شراء أموال المسلمين

بطلت الأعشار (الزكاة) وضعف الإسلام .. ولكن أرى

أن الأصلح أن يبيعوها من المسلمين الذين أوجب الله

عليهم الصدقات ولا تترك في أيدي أهل النمة

فيقتطعون حق الله تبارك وتعالى فيها ويضعف الإسلام.

**حسن بن علي بن فطيمة:** جعلنا فداك إن كنت إنما تأخذ

من ثلاثة وثلاثين فرقاً فليس يجتمع من هذا شيء أبداً:

**الإمام الهادي:** لا اجتمع شيئاً والله لو التقت هذه وهذه -

يعني الأرض والسماء - ما أخذت إلا الحق .. ولكن

اجمعوا لي أهل النمة من نصارى نجران.

فلما اجتمعوا إليه قال لهم:

- اسمعوا يا قوم .. لقد أكثرتم الشراء في أموال المسلمين فأريد منكم أن تخرجوا كل مال معكم أشترى في الإسلام وما كان جاهلياً فهو لكم.

فضج النصارى لهذا الأمر وقالوا:

- خذ أيها الإمام من أموالنا ما شئت ولكن لا تخرجها من أيدينا.

فكر الإمام الهادي قليلاً ثم قال لهم:

- انصرفوا الآن وأتوني في الغد حتى أنظر.

فلما كان من الغد اجتمع النصارى عند الإمام الهادي (ع) .. فإذا به قد جمع وجهاء المسلمين فلما جلس الناس التفت الإمام الهادي (ع) إلى وفد النصارى وقال:

- إنني قد رأيت أن أجمع لكم وجهاء الناس فأجري بيننا

صليحاً يكون فيه رضاكم ومصليحة المسلمين فيما أنكم  
تكرهون الخروج من هذه الأموال .. فأرى لكم أن  
تخرجوا من كل ما حصلت عليه منها تسعاً للمسلمين  
فماذا تقولون؟

وقد أهل مجران: رضينا بذلك الصليح.

الإمام الهلي: قد جمعت الناس لكي لا يكون ذلك إكراهاً  
لكم بل برضاكم ويشهدوا على ذلك.

أحداهم: إنا قد رضينا بذلك غير مجبرين ولا مكرهين  
ونشهد الله ومن حضر على ذلك.

ثم كتب صحيفة بذلك وشهد الناس عليها.

فلما تم له هذا الأمر جعل يعد العلة للعودة إلى صعدة ..

فجمع أصحابه واختار منهم أحمد بن محمد العلوي - من

ولد العباس بن علي - ليكون والياً على مجران .. وكان

أحمد بن محمد ورعاً تقياً.. وجلس الإمام معه طويلاً يناجيهِ  
ويوصيه بتقوى الله وكيف يسير في الناس.

\* \* \*

بقي الإمام في نجران شهر جماد الآخر، ورجب، وشعبان،  
وثماني عشر يوماً من رمضان.

وفي يوم الثامن عشر من رمضان أمر الإمام الهادي (ع)  
أصحابه بالخروج إلى صعلة.. ولكن الأخبار وصلتته أن  
بعض أهل وسحة.. يطلبون منه الدخول إلى بلادهم..  
ف رأى أن يمر عليهم قبل توجهه إلى صعلة..

ولما علم وجهاء أهل نجران اجتمعوا إلى الإمام الهادي  
(ع) فقالوا:

- يا ابن رسول الله.. إنها بلد حصينة وعرة المسالك وفيها  
أناس لا يؤمن إليهم.. فقد دخلها قبل سنوات أمير من  
آل يعفر مع جيش عظيم فلم ينج من الجيش إلا مائة

رجل مع أنه لم يحاربهم إلا البحري وعشيرته من أهل  
وسحة.. وفيها أبو الدعيش الشهابي فنخاف أن  
يصيبكم منه مكروه.

الإمام الهادي: يكفينا الله شرهم وينصرنا عليهم إن شاء الله.  
وبعزيمة المؤمن الواثق بنصر الله جعل الإمام الهادي (ع)  
يتقدم مع جنوده فيدخلون وسحة ولم يعترضهم فيها أحد.

وخرج الإمام من نجران بعد ثمانية أيام بعد أن صار  
البحري وأبو الدعيش وأبناء رضى - وهم من كانوا  
يحييون البلاد- يسيرون بين يديه ممتلين لأمره.

\* \* \*

ووصل الإمام يوم السبت في شهر شوال إلى صعلة..  
واستقبله الناس على مدخل المدينة يحيونه ويرحبون به.

## الفصل الثالث

(١)

جعل والي الإمام في جبل برط يطبق أحكام الله في عباده.. فلم يَرُقْ ذلك لكثير من أولئك الذين كانوا يعيشون على إثارة الفتن وتأجيج الخلاف بين الناس .. فحاولوا أن يثيروا القلاقل فمنعوه من صلاة الجمعة وحاصروه مع مجموعة ممن ثبتوا معه .. فأسرع الوالي في طلب النجدة من الإمام في صعدة.

فلما وصلت الرسل إلى الإمام أمر الناس بالتجهز من يومه للخروج إلى برط لنصرة إخوانهم هناك.

فلما وصل الإمام الهادي (ع) إلى قرب جبل برط في منطقة كانت تسمى الحَجْرَ أرسل مجموعة من أهل هذا البلد مع مجموعة من أصحابه بين يديه يدعون القوم

للرجوع إلى الحق.

وتقدم إلى منطقة تسمى (عضة) أسفل الجبل .. وجعل الإمام يتأمل الجبل فإذا هو وعر المسالك .. شامخ الارتفاع، محصن .. ليس له إلا ثلاثة مداخل.

فجعل يسأل أصحابه عن مسالكه وطرقه ..

أحدهم: يا مولاي .. إنه بلد لم يدخله سلطان قط وإذا انتشر خبر وصولك قطعوا عليك المسالك فلم تجد إليهم سبيلاً.

لم يكد يكمل الرجل حديثه حتى دخل أحد من أرسلهم الإمام للإستطلاع.

الإمام الهادي: ماذا عدت به يا هذا؟

الرجل: لقد بلغهم خبرنا وقد تحرك جمعٌ عظيمٌ منهم لقطع الطريق.

الإمام الهادي - مخاطباً أصحابه:



- من يسبق القوم إلى الطريق قبل أن يملكوها؟

فوقف يوسف بن محمد الحسني، وعلي بن الحسين،  
وعبد الملك اليرسمي، وأبو فطيمة، ومحمد بن أبي الزبير،  
وانطلقوا كالبرق الخاطف.. فلم يصل القوم إلا وقد سيطر  
أصحاب الإمام على الطريق.

وتحرك الإمام على الفور ولم يتوقف إلا عندما وصل إلى  
قمة الجبل.

كان الخارجون على الإمام قد أدركوا أن الفرصة قد  
فاتتهم في قطع الطريق.. لذلك فكروا في محاصرة الإمام في  
قمة الجبل حيث لا ماء ولا طعام ولا ظل.. وما كاد الجيش  
يستقر في أعلى الجبل حتى أحاطوا بهم كالحلقة من  
كل جانب.

فلما رأى الإمام إصرارهم على محاصرته واشتد بالناس  
العطش.. أمر الناس بالبقاء وأخذ معه عشرين راجلاً  
وثمانية فرسان.. ونزل إلى سفح الجبل فلما أشرف على

المخالفين ناداهم ووعظهم .. ثم قال:

- يا قوم أطيعونا ما أطعنا الله .. فإن عصيانه فلا طاعة لنا  
عليكم .. بيننا وبينكم كتاب الله..

فلما لم يردوا عليه.. ولم يجيبوه بشيء.. صاح فيهم قائلاً:

- يا قوم إن لم تطيعونا فخلوا بيننا وبين الماء فنشرب  
ونتطهر.

ثم تقدم يريد طريق الماء .. فإذا بوابل من السهام تتوجه  
لحومهم .. فأصابه سهم وجرح بعض أصحابه .. فالتفت  
إليهم وحمل عليهم وتبعه أصحابه .. فدارت معركة سريعة  
كانت كافية ليفهم القوم مع من يتواجهون ففي لمح البصر  
كان قد سقط منهم ثلاثة من القتلى، وعدد من الجرحى،  
ومجموعة من الأسرى..

وولى القوم هاربين كلٌ يريد لنفسه النجاة.. فأراد بعض  
أصحاب الإمام متابعتهم وقتلهم .. فصاح الإمام:

- كفوا عنهم يا قوم .. فمن قتل قتيلاً فهو به .. فليس  
للقوم من فئة يرجعون إليها ..

فجمع أصحاب الإمام ما غنموا من القوم .. وشربوا  
وتطهروا وهم ينتظرون أمر الإمام بمواصلة الهجوم  
على البلاد.

ولكن الإمام كان يتباطأ في الهجوم مؤملاً في أن يرجع  
المخالفون عن موقفهم.

\* \* \*

لم يمض وقت طويل حتى أقبل جماعة منهم معتذرين  
ونادمين يطلبون الأمان لقومهم.

فأحسن الإمام استقبالهم وأخرج إليهم أسراهم.

ثم نادى الإمام في أصحابه:

- يا مسلمون .. إن ما غنمتموه حق لكم فهبوه لي حتى  
أرده على القوم لأتألفهم به فهو أصلح للإسلام ..

وأرجو أن يرزقني الله من مكان آخر فأعوضكم عنه.

فجعل الناس يُقبلون على الإمام بما عندهم وهو يردها  
على أصحابها.

فلما رأى أهل برط إحسان الإمام إليهم طلبوا منه أن  
ينزل هو ومن معه على بلدهم ضيوفاً.

فأبى ذلك وبقي ثلاثة أيام يصلح أحوال البلاد ومنع  
جيشه من أخذ شيء ولو علفاً للدابة.

وخرج الإمام في أحد هذه الأيام يتفقد حال الجيش فرأى  
أن الناس في جهد شديد.. ولفت انتباهه أن جماعة من  
أصحابه جلسوا يستظلون تحت شجرة دوم مثمرة ساعات  
قليلة ثم انصرفوا.. فذهب إلى ذلك المكان وجعل يتفقد  
غصونها.. فلما لم ير نقصاً فيها سرَّ سروراً عظيماً.. وحمد  
الله أن جيشه بتورعون عن أكل مالا يجلب لهم.

ثم ودع أهل برط بعد أن نصب عبد العزيز بن مروان  
عاملاً عليهم.

(٢)

كان محمد بن عبيد الله -والي الإمام على وسحة-  
يراسل الإمام يطلب منه النجدة فقد عاد أبو الدعيش إلى  
بلده وجيش الناس وحزبهم .. ودخل في حرب مع أبي  
جعفر محمد بن عبيد الله.

فلما وصلت الرسل بعد استقرار الإمام الهادي (ع) أمر  
الناس بالتجهز للخروج .. وخرج عبد الله بن الحسين أخو  
الإمام الهادي (ع) على رأس جيش كثيف وبدأ السفر منذ  
اللحظة.

وفي أطراف بلاد ساقين استقبله الشهابيون أبناء عم  
أبي الدعيش .. فسألوه التوقف عن الحرب حتى يذهبوا إلى  
أبي الدعيش ويسألونه الدخول في الصلح.

وكثر الرسائل وطال الوقت وأبو الدعيش يماطل  
ويخادع ويعد نفسه .. وبعد أن أكمل عدته رد الرسل  
وأخبرهم بنية الحرب.

وهنا أعدَّ عبد الله بن الحسين أصحابه لخوض المعركة..  
فجعل جزء من الجيش يلتف حول قرية أبي الدعيش وأمر  
عليهم أبا جعفر محمد بن عبيد الله .. وآخر يدخل من  
واجهة القرية .. وكانت تسمى قرية عفارة..

\* \* \*

وفي داخل القرية كانت هناك مؤامرة تدور  
للإيقاع بالمهاجمين.

أبو الدعيش: أريد جماعة يكمنون خلف القرية وآخرين  
يواجهون الجيش من الأمام.

وخرج أكثر من مائتي فارس ليلاً ليكمنوا خلف القرية  
وتقدم باقي الجيش إلى خارج القرية للمواجهة.

ولم ترتفع الشمس قدر رمح إلا وقد ظهر كلٌ لصاحبه  
وجعل عبد الله بن الحسين ينادي جيش الدعيش ويعطيهم  
الأمان ويحذرهم الفتنة ومعة الجيش.

ولكن الإجابة كانت سيل من الشتائم والسهام،  
والتحم الجيشان في معركة رهيبة.

وهناك خلف القرية بدأ محمد بن عبيد الله مع أصحابه  
وفجأة وجدوا أنفسهم محاطين بمائتي جندي بين فارس  
وراجل لم يكن معهم إلا فرس واحد هو الذي يركبه محمد  
بن عبيد الله.

وهنا كانت الخيارات مفقودة.. فلم يعطوهم وقتاً  
للتفكير.. فقد بدأ الخصم في هجوم كاسح.. فأخذ كلٌ منهم  
يقاتل عن نفسه ببسالة وشجاعة نادرة.

وصاح فيهم محمد بن عبيد الله:

- أثبتوا لهم يا رجال فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة  
بإذن الله.

وفجأة استقر سهم غادر في عنق فرسه .. ورمى الفرس  
بمحمد بن عبيد الله إلى الأرض .. وماهي إلا لخطات حتى  
وقف على قدميه وقال - مخاطباً أحد رجاله:-

- اسرع إلى عبد الله بن الحسين واطلب منه النجدة.

وطال الإنتظار لنجدة عبد الله بن الحسين بينما أصحاب  
محمد بن عبيد الله يسقطون الواحد تلو الآخر .. فأرسل  
رسولاً ثانياً وثالثاً ورابعاً حتى لم يبق معه إلا أحد عشر  
راجلاً .. وكل رسول يذهب فلا يعود.

أما في الجهة الأخرى من القرية فقد كانت الأحداث  
تدور بشكل آخر .. فقد استطاع جنود عبد الله بن الحسين  
أن يخترق صفوف أبو الدعيش وأصحابه ويمزقوهم  
شر تمزيف.

ولم تستقر الشمس في كبد السماء حتى كان عبد الله بن  
الحسين في أوساط القرية يأمر بحرق بيت أبي الدعيش ..  
وعلا الدخان في القرية .. وارتفع صوت المؤذن واجتمع



الناس للصلاة.

ومنع عبد الله بن الحسين أصحابه من النهب .. وجمع أهالي القرية ووعظهم وأحسن إليهم ورد عليهم غنائمهم.

وبينما الناس على هذا الحال إذا بمحمد بن عبيد الله ومعه مجموعة من الرجال يطلعون عليهم من جانب من القرية حفاة قد أنهكهم التعب وغلبت عليهم الجروح.

فلما نظر إليهم عبد الله بن الحسين أشار إلى غلام كان بجواره أن يسرع بفرسه إلى محمد بن عبيد الله ليركبه.

محمد بن عبيد الله: لا أركب حتى أعلم ما أخطر نجدتكم عنا؟

عبد الله بن الحسين: والله ما علمنا أين أنتم؟ ولا كيف أنتم؟

محمد: لقد أرسلت أربعة من الرسل أطلب النجدة.

عبد الله: والله ما وصل إليّ منك رسول.. وإلا لأسرعت

إليك أنا يا ابن العم.

محمد فوالله لقد توقعت الخيانة من أولئك الرسل .. فمن  
نجا منهم بنفسه تهيب أن يصل إليك فتأمره بالرجوع  
مع النجلة .. فوالله لولا أن نصرك الله عليهم ودخلت  
القرية وأحرقت دار أبي الدعيش لقتلونا عن بكرة أبينا  
فإنهم لما رأوا الدخان خافوا وتفرقوا عنا ... وراح يقص  
عليه قصته.

\* \* \*

كان أبو الدعيش قد نجا بنفسه مع جمع من أصحابه  
وخرج إلى منطقة مجاورة .. وجعل يعد العلة بعد العلة ليبدأ  
حرباً من نوع آخر .. هي حرب التبييت والغدر وحرب  
العصابات.

وفي ليلة شديدة الرياح كثيرة العواصف خرج أبو  
الدعيش مع أصحابه حتى اقتربوا من جيش عبد الله بن  
الحسين يريدون تبييتهم فرأى بعضهم التخفي في مسجد  
قريب حتى ينتصف الليل .. وقبل أن يبدءوا التحرك من

داخل المسجد باغتهم هجوم رباني سريع؛ فقد هبت ريح قوية هلمت جزءاً كبيراً من الجامع فوق جماعة من أتباع أبي الدعيش فانتبهوا مذعورين وتفرقت بهم السبل ونصر الله عباده المؤمنين. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

(٣)

شعر الناس بالأمان .. وسادت في الناس روح الأُخوة .. وأخذ الفقير حقه من مال الغني .. وعاد إلى نجران ومن حولها الأمن والاستقرار.. وأسرع والي نجران -محمد بن عبيد الله- لإرسال الفائض من الأموال إلى الإمام الهادي (ع) في صعدة يستعين بها على أمور الدولة هناك.

كان مثل هذا الوضع قد أثر على كثير من أولئك الذين اعتادوا أن يعيشوا على الأكل من أموال الناس بالباطل.

فقد جعل دعة الشر يتواصلون .. فجعل رجل يسمى حنيش الوادعي وآخر يسمى ابن العجمي يرأس كل منهما أبناء عشيرته لكي يقوموا بقطع الطريق

ونهب الأموال.

وخرجوا لقطع الطريق فظفروا برسول والي نجران الذي كان قد أرسله الوالي إلى الإمام الهادي .. فأخذوا المال الذي معه .. واستمروا في قطع الطريق .. وقتلوا رجلاً آخر.

ووصلت الأخبار إلى مسامع الإمام الهادي (ع) بما حدث في نجران .. فاغتم لذلك.

كان الإمام الهادي (ع) يشعر بأنه مسئول عن كل فرد في هذه الأمة .. فأمر أصحابه من لحظة وصول الخبر أن يتجهزوا للخروج إلى نجران.

وبالفعل انطلق الإمام الهادي (ع) بمن معه ولم يستقر حتى وصل إلى القرية التي يسكن فيها حنيش الوداعي.

فلما وصل إلى القرية جمع أهلها، وخطب فيهم، ووعظهم، ثم قال لهم:

- يا قوم .. هل فيكم رجل رشيد يذهب إلى هذا الغاصب

لحقوق الناس فيعظه لعل الله أن يهديه؟

فقام إليه رجل ممن عرفوا بالصلاح .. ووعد أنه  
يذهب إليه.

وما هي إلا أيام حتى رجع الرجل فأنخبر الإمام أن حنيش  
الوادعي مصرُّ على ما هو عليه.

وهنا اغتم الإمام وأمر بحرق بعض أموال حنيش لعله  
يرجع عن فعله .. ولكن الأخبار وردت أن حنيش الوادعي  
وابن العجمي قد جمعوا حولهم جماعة من اللصوص  
وبدأوا يقطعون الطريق ويهجمون على المسافرين.

كان الوقت ضيقاً والإمام يستعجل المسير إلى بلاد  
حاشد .. فقد وصلت الرسل من مناطق خيوان وأثافت  
يشكون إلى الإمام الفساد والقتل الذي حل ببلدهم  
ويطلبون منه المبادرة إليهم.

\* \* \*

وقف الإمام في محراب المناجاة في ظلام الليل الدامس

يدعو الله أن يكفي الناس شر حنيش الوادعي وابن  
العجمي.

وغفى لحظات وهو في محرابه.. ثم استيقظ وجعل يردد:  
الحمد لله .. الحمد لله ... ويكرر الحمد.

سمعه محمد بن عبيد الله الذي كان قد لحق به مع عبد الله  
بن الحسين فدخل عليه فقال له:

- خيراً إن شاء الله.

الإمام الهادي: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله  
وسلم يقول: (لعن الله حنيشاً .. لعنه الله).

محمد: يكفيننا - إن شاء الله - شره.

ولم تكد الشمس تبث نورها في اليوم الثاني حتى  
جاءت الأخبار أن حنيشاً أصيب بطعنة منذ يومين فمات ..  
وأن ابن العجمي قد لحق بصاحبه.

وبعد أن استتب الأمن وأهلك الله رؤوس الفساد أمر  
الإمام الهادي (ع) أصحابه بالاستعداد للخروج . وعاد من  
نجران مع أصحابه متجهين نحو بلاد حاشد وما حولها.



## الباب الثالث

### الفصل الأول

(١)

لم تكن أخبار حكم الإمام الهادي (ع) وعدله لتخفى على أحد.. فقد حملها الركبان.. وتحدث بها الناس.. وصارت تضرب إليه بطون الإبل من كل بلاد.. فقد بلغت أصدائه العراق.. ووصلت أخباره إلى بلاد الديلم وطبرستان.. واشتاق الناس المؤمنون لمعرفته والجهاد بين يديه.

أما في بلاد اليمن فقد صارت تلك الأخبار مدار حديث الناس الكبار منهم والصغار.



ولكن مثل هذه الأخبار ما كانت لتسر كل الناس ..  
وبالذات أولئك الذين كانوا يعيشون في الأرض فساداً.

فعلى مقربة من بلاد صعلة التي كانت تدين بالولاء  
للإمام الهادي (ع) .. كان يحكم الدعام بن إبراهيم مناطق  
واسعة من بلاد اليمن الوسطى.

وفي مجلس الأمير الدعام بن إبراهيم دخل ولده أرحب ..  
وأبوه صامت يسبح في تفكير عميق.

أرحب: خيراً يا أبي ما الذي يشغلك؟

الدعام - بنظرة ساخرة-: وهل يهملك ما يشغلني؟ يكفيك  
أن تهتم بنسائك وجواريك وندمائك.

أرحب: لست مبتدعاً يا أبي في هذا الأمر .. فما أنا إلا  
متبع .. فأنت وجميع الأمراء غارقون في هذا الأمر.

الدعام: أصمت يا أحمق .. فأنت لا تدري ما يدور  
من حولك.

أرحب: وماذا هناك حتى يستحق منك كل هذا الاهتمام؟  
الناس يدينون لك بالطاعة.. والمال يجيء إليك من كل  
البلاد.

الدعام: أخبار ذلك الهاشمي الذي ملأ صيته البلاد فقد صار  
مدار حديث الناس.. والأهم من ذلك كله أنه بلغني أن  
بعض من يتنمر من الوضع قد راسله يشكو إليه  
الفساد ويدعوه إلى الخروج إليهم ويعدونه النصر.

أرحب: تتبّع هؤلاء واضرب أعناقهم.

الدعام: إنك أحمق يا ولدي.. أتريد أن نقوض ملكنا  
بأيدينا؟...

وصمت الدعام برهة من الزمن ثم قال:

- بل هناك طريقة أخرى هي الأنجح.

أرحب: وما هي يا أبي؟

الدعام: نراسله ونظهر له الود والمحبة كما بلغني أن أبا  
العتاهية يفعل.. ونطلب منه أن يُقرنا على البلاد التي  
بأيدينا .. فإن كان طالب ملك فلا أظنه يرفض ذلك.

أرحب: أتريد أن نسلم أنفسنا إلى هذا الهاشمي بأيدينا؟ لا  
والله بل نقاتله...

الدعام - بصوت حاد: أسكت أيها الأحمق .. إنك لا تعرف  
شيئاً .. وحذار أن تتصرف في أمر بدون مشورتي.

(٢)

جعل الإمام الهادي (ع) يسرع في السير نحو بلاد  
حاشد .. فلما رأى بعض أصحابه أنه قد أتعبهم السير  
جعل ينزل عن فرسه ويصعدهم عليه .. ويمشي على  
قدميه فيأبى عليه البعض فيقول لهم: لستم أحوج  
بالأجر مني.

وخلال مسيره جعل يوقف الناس بين اللحظة

والأخرى.. وينادي:

- أيها الناس .. جلدوا نياتكم .. وأخلصوها لربكم.

فلما اقترب من خيوان أقبلت عليه رسل الدعام.

الإمام الهادي: ممن القوم؟.

- نحن رسل أمير البلاد الدعام بن إبراهيم .. وهذه رسالته إليك.

أخذ الإمام الهادي (ع) يتصفح الرسالة فكان مضمونها استعداد الدعام للإعتراف بالإمام الهادي ومبايعته شريطة أن يُثبته على ما في يده من البلاد.

فأخذ الإمام الهادي (ع) يكتب إلى الدعام وبعث إليه بهذا الجواب:

«لا والله لا نوليك ولا ساعة إلا أن تحكم بكتاب الله وسنة رسوله .. فإن أجبت إلى ذلك وحكمت بحكمنا .. وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر .. وأخذت الحق ممن

وجب عليه - قريباً أو بعيداً، شريفاً أو دنياً- ولئناك حينئذٍ  
أمور المسلمين ما حكمت بما وصفنا وبما أمر به الله تبارك  
وتعالى».

وبعد وصول الإمام الهادي (ع) إلى بلاد حاشد تقدم نحو  
خيوان فخرج إليه أهلها جماعات جماعات .. لا يكاد أن ينظر  
بعضهم إلى بعض لما كان بينهم من العداة والفتنة.

فجعل الإمام الهادي (ع) يعظهم ويدعو لهم ويذكرهم  
الأجر والآخرة.. حتى تقارب الناس من بعضهم واختلطوا  
وتسامحوا.

وبقي الإمام الهادي (ع) في أوساطهم عدة أشهر يفقههم  
ويعلمهم معالم دينهم .. ويستقبل الوافدين عليه من  
المناطق المجاورة.

ثم خلف ولده محمد في خيوان وخرج إلى منطقة تسمى  
بطنة حجور للإصلاح بينهم وبين أهل الحصن.

ولما وصل إلى هناك استقبله أهلها وعرضوا عليه أن

ينزل عليهم وجعلوه هو والجيش في حل مما يأخذونه.  
فكره الإمام ذلك وأمر أصحابه أن لا يأخذوا من أحد لا  
علفاً ولا مالاً.. فقد أحب أن يكون عمله خالصاً لوجه الله  
لا يطلب شيئاً من أعراض الدنيا..

ثم بعد ذلك خرج إلى أثافت واستقر بها أياماً.

\* \* \*

وفي أحد الأيام وبينما الإمام جالس مع أصحابه دخل  
عليهم جماعة من أصحاب بيت زود والتي كانت تخضع  
لحكم الدعام.

فجعلوا يشكون إلى الإمام الهادي (ع) فساد ولاتهم  
وسوء حالهم.

أحلمهم: يا مولاي .. لقد صار الرجل منا لا يأمن على أهله..  
فالجنود ينتهكون الحرم .. ولا أحد يجرؤ على  
الاعتراض عليهم.

الإمام الهادي: لماذا لا تشكوهم إلى الدعام وهو أمير البلاد؟  
الرجل: ليس يخفى عليه شيء من هذا .. فقد أخذ بعض  
جنوده جارية بكرةً فاغتصبها وقتل أباهما.. ورُفِع الأمر إلى  
الدعام فلم يفعل شيئاً بل لم ينكر ذلك أصلاً.  
رجل آخر: يا ابن رسول الله .. كيف نرجو منه خيراً وجنوده  
والزانيات يتحاكمن في أجرة الزنا علناً عند واليه يدعي  
عليها أنه دفع لها المال ولم تمكنه من نفسها فيحكم له  
عليها بأن تمكنه من نفسها أو ترد له ماله.  
فلما سمع الإمام الهادي (ع) منهم ذلك ضاقت به الأرض  
وجعل يقول:

- إنا لله وإنا إليه راجعون ... إنا لله وإنا إليه راجعون ..  
وأمر الإمام من يتحقق من الخبر .. فلما تيقن له صحة  
ما قيل خرج إلى بيت زود .. فأخرج عنها ولاة الدعام ومن  
فيها من المفسدين .. وفرح أهل البلاد بقدوم الإمام

الهادي (ع) وتطهير بلادهم من الظلم والفساد.

وبقي الإمام الهادي في بيت زود يستقبل الناس للبيعة ويوجه معهم المعلمين حتى وصل إليه رسل والي ريلة- صعصعة بن جعفر- يحملون رسالة الوالي المتضمنة للإقرار منه بالبيعة والسمع والطاعة.

فوجه الإمام الهادي (ع) مجموعة من أهل العلم والمعرفة من همدان مع الرسل إلى ريلة ليعينوا الوالي على ضبط البلاد ويقوموا بتوجيه الناس وإرشادهم.

ثم خرج الإمام الهادي من بيت زود يريد العودة إلى خيوان بعد أن ترك أبا عمر عبد العزيز بن مروان والياً عليها.. وأمر الناس بالتجهز للسفر.



## الفصل الثاني

(١)

دخل أرحب على أبيه الدعام بن إبراهيم وهو منفعل  
ثائر يشتم ويسب.

أرحب: اسمع يا أبي.. إنك بسكوتك على هذا الأمر تُجَرِّئُ  
الرعية.. فهل تترك هذا الهاشمي يغزو البلاد قرية قرية  
وأنت هنا لا تحرك ساكناً؟ إما أن تخرج لتوقف هذا  
الرجل عند حله وإلا خرجت أنا وقاتلته.

الدعام: وبمن ستخرج أيها الأحمق!!

أرحب: هؤلاء بنو سليمان ينتظرون إشارة مني للخروج  
إلى قتاله.

الدعام: احذر هؤلاء فليس فعلهم هذا حباً لك بل خوفاً

على أموالهم .. فهم يعلمون أن الهادي سيأخذ الأعشار  
منهم شاءوا أم أبوا.

أرحب: المهم أن تعلم أنني خارجٌ لقتاله.

الدعام: بل أخرج أنا لقتاله .. ولكن أين صار الآن؟

أرحب: لقد أخبرني بعض العيون أنه في بيت زود وقد أمر  
أصحابه بالتجهز للعودة إلى خيوان.

الدعام: إذا فأمر الجيش بالتجهز للخروج ليرى قوتنا وكثرة  
عدنا.

وخرج الدعام في جيش كثيف العدد قوي العلة .. يفوق  
ألف راجل ومائتين وثلاثين فارساً واتجه بهم نحو قاع  
البون.

ولم يكد الإمام الهادي (ع) يصل إلى خيوان إلا وخبر  
الدعام وجموعه تطرق مسامعه.

أحد الرجال: إن الدعام قد خرج يجمع كثير متجهماً إلى

قاع البون.

الإمام الهادي: متى ذلك أيها الرجل؟

الرجل: بعد ذهابكم يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي: ليس الخوف من هذا. ولكن أخاف أن يقصد بيت زود وأثافت.

وتوجه الإمام الهادي (ع) من ساعته عائداً إلى بيت زود .. فلما أطل الإمام الهادي (ع) من أعلى نقييل الغولة أمر بنشر الرايات .. وكان الدعاء قد توجه هو الآخر نحو بيت زود .. فلما رأى الرايات تراجع هو ومن معه.

وفي اليوم الثاني من وصول الإمام إلى بيت زود توجه إلى منطقة يقال لها ضحيان .. وأرسل الرسل إلى صعصعة بن جعفر.. يأمره بالتجهز للحرب .. فلما وصل الإمام الهادي (ع) إلى ضحيان نادى مناد من أعلى النقييل: إن الدعاء قد غشي بيت زود.

فرجع الإمام الهادي (ع) وعبأ الجيش فجعل حولان  
وهمدان في الميمنة وبني ربيعة وبني صريم في القلب وبيت  
زود وأهل البون في الميسرة.

ثم نزل ما بين الصفيين فتوضأ ثم بدأ يصلي قصراً في  
حين كان جيش الدعام يتقدم.

فأسرع أحد أصحاب الإمام الهادي إليه وهو جالس في  
مصلاه بعد أن فرغ من صلاته.

الرجل: أعزك الله تعالى يا مولاي هذا عسكر الدعام  
قد قرب.

التفت إليه الإمام الهادي (ع) في هدوء وطمأنينة الرجل  
الواثق بربه وقال له:

- قل لهؤلاء يستأمنون كلهم والدعام معهم بعد قليل إن  
شاء الله.

ثم قال للرجل:

- ابحث لي عن رجلٍ من أتباع الدعام الذين عرفوا الحق  
وهم الآن في جيشنا وابعثه إليّ في الحال.

\* \* \*

وبدأ الإمام يلبس ملابس الحرب .. والهدوء والسكينة  
والطمأنينة بادية في كل تصرفاته .. فاللسان الذاكر ..  
والقلب الشاكر .. والثقة المطلقة بنصر الله.

وما هي إلا لحظات حتى وقف رجل بين يديه.

الرجل: ماذا تريد يا ابن رسول الله؟ فأنا وجميع أهلي  
طوع أمرك.

الإمام الهادي: يا أخا الإسلام .. اذهب إلى هذا الرجل  
المسمى الدعام وقل له يقول لك الإمام الهادي: لا تقتل  
العرب فيما بيننا .. وبرز إليّ ويقف الناس حتى  
أقاتلك .. فإن قتلتني استرحمت مني وعملت ما تريد ..  
وإن قتلتك استراح منك أهل الإسلام.

كان الطرفان في قمة التأهب .. الكل لا ينتظر إلا مجرد  
الإشارة ليبدأ تدفق شلال من الدماء .. ولكن تلك الروح  
الطاهرة المحبة للسلام كانت تريد أن تفتدي أرواح المؤمنين  
بالتضحية ولو بالنفس.

وبالفعل خرج الدعم من بين جيشه بعد طول مراسلة  
وأقبل نحو الإمام الهادي (ع) وأعلن طاعته وتوبته .. فلما  
لمس الإمام الهادي (ع) منه الصلح أقره على ما كان في يده  
من البلاد على أن يحكم في الناس بكتاب الله وسنة رسوله.  
واختلط الناس بعد ذلك وجرت بينهم ينابيع المودة ..  
وأمنَ الناسُ بعضهم بعضاً.

لم يكن الملك والدولة والسيطرة هو مطلب الإمام  
الهادي .. بل كانت الغاية هي نشر دين الله بين الناس وإعادة  
الناس على المحجة البيضاء التي ترك رسول الله صلى الله  
عليه وعلى آله وسلم الناس عليها.

وأمر الإمام الهادي (ع) الناس بالعودة إلى أهلهم وعاد  
بمن معه من الأتباع إلى بيت زود شاكرين الله على ما  
وفقههم إليه من حقن الدماء وإخماد نار العداء.

وانطلق الدعام بمن معه إلى حصن (وَرَوْرَ) الواقع في  
بلاد الجوف معجبين بما رأوا من أخلاق الإمام وتواضعه  
وحبه للناس وتفانيه في خلعة أتباعه راضين بما اتفقوا عليه  
من الصلح.

(٢)

لم تكن أخبار تلك الحشود التي جمعها الدعام لتخفى  
على أحد فقد اشتهر الأمر وذاع الصيت .. وبلغ جميع  
المناطق اليمينية .. وبذلك لمعت بارقة الأمل لأولئك الذين  
عرّاهم نور العدل الذي ظهر بظهور الإمام الهادي يحيى بن  
الحسين عليهم السلام.

فاستغلوا الفرصة لإثارة القلاقل في البلاد وشن  
الغارات على الولاة الذين نصبهم الإمام في بقية المناطق

التي دخلها.

فهؤلاء بنو سليمان لما لمسوا حالة الضعف عند الدعام .. حاولوا أن يلتفوا حول ولده أرحب ويؤججوا فيه حب السلطة ويخوفوه من الإمام الهادي (ع).

لم يكن ذلك حباً في أرحب ولا في أبيه .. ولكن كان هناك غرض آخر.

فقد ترمى إلى أسماعهم أن الإمام الهادي (ع) لا يتهاون في حق الله سبحانه وتعالى .. ولذلك خافوا إن خضعت له البلاد أن يقيم فيهم الحدود ويلزمهم بإخراج زكاة أموالهم وهذا أمر لم يعتادوه .. بل يعده البعض عاراً.

فوجدوا في أرحب بن الدعام ما يرضى أهوائهم .. وما إن تبادر إلى أسماعهم خبر المصلحة بين الإمام الهادي (ع) والدعام حتى ثارت ثائرتهم .. فتوجهوا إلى أرحب ولد الدعام الذي كان قد أقنعوه بالتخلف عن أبيه حتى لا يلزمه الدخول فيما دخل فيه فقد توقع بعضهم حدوث



الصلح بين الإمام والدعام لما رأوا من ميل الدعام إلى  
المصلحة والمسألة.

متكلم بني سليمان: أيها الأمير والله لقد جئناك بأخبار العار  
والذلة.

أرحب: ويحك يا رجل لا أم لك!! هل حدث لأبي مكروه؟

الرجل: لم يحدث لأبيك شيء .. لكنه أسلم البلاد والعباد ..  
وأضاع ملكه وملك آبائه .. وأنزل نفسه من مصاف  
الأمرء الذين لا أمر عليهم إلى درجة الولاة الذين متى  
شاء أميرهم عزلهم ومتى شاء أبقاهم.

كانت مثل هذه الكلمات كفيلة بأن تجعل من أرحب  
كتلة نار تشتعل بل بركان يتفجر .. فقد احمر وجهه  
وانتفخت أوداجه.

أرحب: أفصح أيها الأحق هل هزم أبي؟

الرجل: ما مثلك ولا مثل أبيك من يُهزم ولكنه نزل على

حكم الهادي ومضى إليه طائعاً.

أرحب: كيف أيها الأحمق الكذاب وقد أخبرني العيون أن  
الجيوش قد تعبأت وتصافت للحرب. وأن اليمين قد  
اشتبكت مع الميسرة.

الرجل: كل ذلك صحيح يا مولاي .. ولكن أباك أمر الناس  
بالتوقف وكذلك الهادي. بعد أن أرسل الهادي يطلب  
أباك لمبارزته .. فكتب إليه أبوك أنه لا يريد الحرب ..  
وأنه يسعى للصلح .. ولا أراه في هذه اللحظات  
إلا يصلحه.

أرحب: وكم جيش ذلك الهاشمي حتى يصلحه؟ بل من هو  
ذلك الهاشمي حتى يصير له جيش ويخضع له أمير أمراء  
اليمن الدعام بن إبراهيم؟ لا .. لا .. لا أكاد أصلق ما  
أسمع. إنه كذب وهراء.

جعل أرحب يهني بما لا يعي .. ويشتم ويتوعد ..  
واستقر على كرسيه منهك القوى مشتم التفكير لا يدري

بأي شيء يبدأ ولا كيف يتصرف.

فاقترب منه ذلك الشيطان الذي بدأ الحوار معه حتى  
أثاره واستنفره .. وبصوت تجلت فيه كل إبداعات وأساليب  
المكر همس في أذنه قائلاً:

- هدى من روعك يا مولاي .. فالأمر لا زال في يدك حتى  
ولو أبرم الصلح.

رفع أرحب رأسه والتفت إلى الرجل في تشاقل البائس  
المحبط قائلاً:

- ماذا تقصد أيها الرجل؟

الرجل: لا زالت بنو سليمان طوع أمرك وفي قبضة يدك  
فاضرب بهم برأاً أو بجرأاً.

أرحب: وماذا تفعل بنو سليمان وقد صار الناس راضين  
بالصلح؟

الرجل: تفعل الكثير.

أرحب: كيف؟

الرجل: قم وتقدم جزءاً منهم قبل أن ينتشر خبر الصلح واتجه إلى خيوان فقد خلف الهادي أولاده هناك ولا جيش معهم، وأكثر من في خيوان هم ممن أرغمهم الهادي على تزكية أموالهم والكف عن فعل ما اعتادوا عليه.. فقد كرهوا أمر الهادي ولم يجبرهم على السكوت إلا أنهم لم يجدوا ناصراً.. وهم يتحينون الفرصة للإفساد عليه ومتى علموا بخروجك لحربه فسيفتحوا لنا البلاد ويعينونا على أسر أولاد الهادي أو قتلهم.. وبهذا يفسد الصلح إن كان قد عقد الصلح.

أرحب: ومن يضمن لي تحقق كل هذا الأمر ومناصرة أهل خيوان؟.. فأني أخاف أن ينعكس الأمر فأكون أنا الأسير أو القتيل.

الرجل: إذن فقد رضيت أن يسلبك الهادي أموالك ويحوّل

إلى صعلوك من الصعاليك.. هذا إذا نجوت من الجلد  
والتعزير بتهمة أنك تشرب الخمر.

اندفع أرحب كالجمل الهائج نحو الرجل يريد أن يفتك  
به.. بل يريد أن يمزقه إرباً.. فهو لم يتلق إهانة طوال حياته  
كهنه الكلمات التي كان لها وقع السهام المشتعلة .. فتنحى  
الرجل جانباً كي يقي نفسه اندفاع ذلك الحسد المقبل نحوه.

فنهض ثلاثة من وجهاء بني سليمان للإمساك بأرحب  
كي لا يقع على الأرض.. وبشيء من اللطف هدّءوا من  
غضبه فعاد وجلس في مكانه.

رجل آخر: يا مولاي لقد أرسلنا من نقل إلينا الأخبار  
واتفق مع بعض من لهم شأن في خيوان أن يكونوا عوناً  
لنا على أولاد الهادي ومن معهم .. فأعد نفسك ومن  
معك وعجل.

أرحب: إذاً فهيا بنا.

ركب الجميع وانطلقوا بسرعة مذهلة يضمرون الشر ..  
ويدفعهم الحقد وحب السيطرة.

والتفت أرحب إلى أصحابه فرأى أن بعض وجهاء بني  
سليمان ليسوا معه.

أرحب: أين باقي رجالك يا شيخ؟

الشيخ: لا عليك إنما أرسلت بعضهم إلى بعض من أهل  
أنافت ممن نرجو نصرهم ليخذلوا الناس عن والي  
الهادي فندخلها ما دام الهادي مشغولاً في بيت زود.

\* \* \*

توقف أرحب ومن معه على مقربة من خيوان  
وعسكروا هناك. وتحت جناح الظلام خرج إليهم من كان في  
خيوان من أنصارهم وجلس الجميع لوضع خطة الغد.

رجل من أهل خيوان: لقد خذلنا الكثير منهم وخوفناهم  
من الدعاء وجيشه المقبل. فهم ما بين كاره للهادي أو

مداهن ينظر لمن تكون الغلبة .. وأما أنصار الهادي  
فهم قلة.

أرحب: إذاً كيف ترون أن يكون موقفنا معهم؟

شيخ بني سليمان: الرأي أن يرجع أهل خيوان إلى بيوتهم  
فإذا علم محمد بن الهادي بقدمنا فلا شك أنه يدعو  
الناس إلى الجهاد معه .. فهنا يشبطون الناس عن الخروج  
معه .. وهنا تكون فرصتنا فلا يدري من عدوه ومن  
صديقه فيسهل علينا قتله وقتل أخيه أو أسرهما.

أرحب: أحسنت أيها الشيخ.

وتفرق الناس ورجع كلُّ إلى محله.

(٣)

لم يكن محمد بن الهادي بالرجل الغبي الذي لا يفتن إلى  
التحركات الحادثة في البلد فقد أرسل من تقصى له الخبر.

فلما أدرك ما يدبر في الخفاء أرسل إلى أربعة ممن يشق  
بدينهم وصلق ولائهم لله ولرسوله ولأهل بيت نبيه فبث  
إليهم الخبر وطلب منهم المشورة.

إسماعيل بن المسلم الهمداني: يا ابن رسول الله.. إنني أرى  
الناس ليسوا معنا.. وإن كان بينهم من مخلص فلن  
يظهر مع كثرة الغوغاء.. فأرى لك أن تخطبهم وتدعوهم  
للجهاد.. ثم تعسكر جانباً فيصفي لك أهل الإخلاص  
من غيرهم.

محمد بن الهادي: نعم الرأي ما رأيت يا إسماعيل فجزاك الله  
عنا وعن الإسلام خير الجزاء.. ولكن لي عندك مطلب  
أرجو أن تستحسنه.

إسماعيل: أنا طوع أمرك يا ابن رسول الله.

محمد بن الهادي: أن تخرج إلى هذا الرجل فتدعوه إلى الحق وتعظه  
لعل الله أن يحقن الدماء ويكفينا شره.



إسماعيل: لك ذلك يا ابن رسول الله.

ولم تشرق شمس اليوم الثاني إلا وقد أدى رواد الدعاية والنفاق دورهم على أحسن وجه .. فقد استطاعوا أن يؤثروا على البعض ممن يعبدون الله على حرف وهم كثير.

فلما خرج أبو القاسم محمد بن الهادي إلى المسجد قام خطيباً ودعى الناس للجهاد ورجبهم فيه .. إلا أن الناس ضجوا وتفرقوا عنه .. فكان يقول لأهل خيوان:

- يا قوم إن يكن منكم عشرون صابرون...

فيقولون: لا نعرف أحداً يقوم معك.

فلم يلتفت إليهم .. بل أمر أن تضرب خيمته في جانب من القرية ليعسكر هناك وأعلن ذلك للناس.

وبدأ القلة المؤمنون يلتحقون بمعسكر أبي القاسم الواحد تلو الآخر ليُكوّنوا معسكراً صغيراً لا يتجاوز أفراده عدد أصابع اليد.

فلما رأى المنافقون ذلك أغاظهم لأنهم كانوا يريدون اغتياله في حال اضطراب الناس .. فأرسلوا من يندس بين معسكره لكي يخذل من استطاع من الأربعة الرجال الذين خرجوا معه.

ووقف محمد بن الهادي ينتظر عودة إسماعيل بن المسلم الهمداني الذي كان قد خرج في وقت مبكر إلى أرحب ومن معه ليدعوهم إلى الحق ويعظهم .. فلما رجع سأله محمد بن الهادي:

- ما الخبر يا إسماعيل ؟ وماذا أجابك به القوم؟

إسماعيل: هاهم في أثري يريدون اقتحام القرية من أسفلها.. إنَّ هناك من ينقل أخبارنا إليهم فقد استضعفونا.

محمد بن الهادي: فأسلك بما لرسول الله عليك من حق إلا ما رجعت إلى هذا الجاهل وأخبرته أنني أعرض عليه المبارزة ونحقت دماء الناس.

إسماعيل: نفسي لك الفداء يا ابن رسول الله لا تخرج

لقتاهم حتى أفنى بين يديك.

محمد: جزاك الله عنا ألف خير .. ولكن أرجو أن تنفذ ما  
قلت لك.

إسماعيل: لك ما طلبت.

وانطلق من ساعته وعرض الأمر على أرحب .. فتغير  
لونه وتلعثم لسانه .. وأسرع في إلتماس الأعذار ..  
فالعرض لم يكن مغرياً.

وعاد إسماعيل إلى محمد بن الهادي .. فسأله محمد:

- ماذا أجابك هذا الرجل؟

إسماعيل: لقد ارتعدت فرائصه .. واصفر لونه .. وتلعثم في  
كلامه فلم أظفر منه بجواب.

محمد: ينصرتنا الله عليهم - إن شاء الله -.

\* \* \*

وفي هذه اللحظات ظهرت طلائع جيش أرحب .. وهم

في كامل العلة والعدد وبدأ الجيش يزحف على حيوان من أسفلها وهنا إلتفت محمد إلى أصحابه فقرأ الذعر والفرع في وجوه بعضهم.

محمد: اتقوا الله يا قوم واذكروا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾.

فأجابه أحد أولئك المندسين في أوساط أصحابه:

- ما كان أغنانا عن عشرينك ومائتهم!!

فلم يلتفت إليه محمد بن الهادي.. بل امتطى سهوة جواده وجرده حسامه .. ثم التفت إلى أصحابه وقال وهو ينطلق لا يلوي على شيء:

- احملا بنا عليهم فأمرهم قريب - إن شاء الله..

وبعزيمة وصلابة المؤمن الواثق بنصر الله انطلق ليشق عباب أمواج الغبار يرمي بنفسه بين رماح القوم وسيوفهم لا يبالي أحيي هو أم ميت ما دام يسير في ركب الحق.

ثم التفت خلفه فلم يجد إلا أخاه أحمد وأربعة من أهل  
خيوان فلم يتراجع.

كانت تلك الانطلاقة السريعة والجريئة كفيلة لتَهز  
قلب أكبر جبارٍ عنيد.

فلما رآه أرحب مقبلاً عليهم تراجع إلى الورااء فتراجع  
من بعده وانهزموا بأشر حال .. كلٌّ يَرجو النجاة بنفسه.

\* \* \*

وعلى مقربة من خيوان اجتمعت فلول ذلك الجيش  
المنهزم ووقف أرحب ينظر إلى بني سليمان.

أرحب: لقد حذرني واللي من الثقة بكم أو  
الإصغاء إليكم.

أحد الوجهاء: أنت أول من هُزم الناس بسببه فلو ثبتَّ  
قليلاً لثبت الناس.

أرحب: هل تريد أن أقتل نفسي بيدي وقد رأيت ذلك

الفارس لا يقصد سواي؟!!

وعلى بعد ميلٍ من أرحب ومن معه تعالى غبار وصوت  
خيلٍ قادمة نحوهم.

فأسرع أرحب إلى فرسه وركب هو ومن معه خيولهم ..  
وتنادى القوم محمد بن الهادي في إثركم فأنجوا بأنفسكم؟

شيخ القبيلة: أين عقولكم يا قوم؟! أين نحن وأين محمد بن  
الهادي؟! هؤلاء مقبلون من الجنوب وذاك في حيوان.

راجع الناس نفوسهم وثبتوا في مكانهم حتى تبينت لهم  
معالم الفرسان القادمين فإذا هم بعض بني سليمان ممن كان  
قد أرسلهم شيخهم إلى أثافت.

فاستقبلهم شيخ بني سليمان قائلاً:

- ما أحرّكم عنا وكان موعدكم صباح هذا اليوم في  
حيوان؟

أحد الفرسان: إنما أحرنا عنكم بعض ما أرسلتنا له يا شيخ.

الشيخ: فما وراءكم يا رجال؟

الفارس: ليس في أثافت إلا أبو عمر عبد العزيز بن مروان والي الهادي والناس مع الهادي في بيت زود .. ولم يبق في أثافت إلا جمعٌ من أصحابنا سينتظروننا على مقربة من القرية ليدخلونا إليها.

أرحب: وماذا فعل أبي مع الهادي هل صلحه؟

الفارس: نعم .. وقد ذهب أبوك إلى حصن وَرُورَ بعد تمام الصلح.

أرحب: فكيف تريدونني أن أنقضَ على أبي صلحه وأخرج عن طاعته؟

الشيخ: إنا إذا دخلنا إلى أثافت واستولينا عليها وتحصنا بها فلن يجد أبوك بُدًّا من الركوب إلينا والدخول في حرب مع الهادي أو أن يركب مع الهادي لحربنا .. ولا أراه يختار على ولده أحداً.

أرحب: إذاً فهيا بنا لنمحو عار خيوان بدخول أثافت.

وانطلق القوم نحو أثافت .. وتحت جناح الظلام تسلل أرحب وجنوده إلى داخل القرية بمعاونة بعض من أهل القرية ممن كانوا قد نقضوا العهد .. ولم يستيقظ أبو عمر- والي أثافت من قبل الهادي- إلا وقد أحاط أرحب وأصحابه بداره.

فلبس سلاحه وصاح بالناس للحرب .. فهب إليه جماعة من بني ربيعة وبني صريم.

ولكن الوقت كان قد أزف فقد أحيط بهم من كل جانب.. فلم يهلهم القوم حتى أردوهم قتلى .. وسلبوا متاعهم.. واقتحموا دورهم ونهبوا كل ما فيها .. وتركوهم جثثاً عارية مزرجة بالدماء.



## الفصل الثالث

(١)

استقر الدعم في حصن وروّز قريير العين مرتاح البال ..  
يشعر بالإطمئنان للقرار الذي اتخذته .. فقد عاش منذ  
وصول الإمام الهادي (ع) إلى اليمن في صراع بين عناصر  
الخير والشر في أعماقه .. فلم يستقر له قرار وما ارتاح له  
بال طوال الفترة الماضية.

فقد سمع الكثير عن شخصية الإمام الهادي (ع) وورعه  
وتقواه .. وأيقن في أعماقه أن مثل تلك الشخصية هي  
الحل الأمثل للكثير من المعاناة والفساد الذي تعيشه  
البلاد .. وعزم مراراً على تسليم الأمر إليه .. إلا أن حب  
السلطة وشهوة الملك وحاشية السوء كانت تقف حائلاً  
بينه وبين ذلك.

وعندما استطاع أن يتخذ قراره الأخير انتصرت في أعماقه عناصر الخير واستشعر أن ذلك هو القرار الذي كان يجب أن يتخذه منذ سنوات.

\* \* \*

وفجأة تحولت أجواء حصن وروّ من سكون إلى جو صاحب علت فيه الأصوات واضطربت الأمور.

فقد دخل مجموعة من الفرسان إلى الحصن ليعلنوا ذلك الخبر المشؤوم.. فضج الناس للخبر.. ودارت مشاجرات كلامية بين مؤيد ومعارض.

أشرف الدعاء على الناس وهم غارقون في الكلام وتبادل الأخبار.. فصاح بهم:

- ما الخبر يا قوم؟ لماذا كل هذا الضجيج؟

سكت الجميع وتقدم أحد الفرسان الذين قلموا من أثافت من عند أرحب ليخبره بما حدث.

الفارس: يا مولاي .. نحن رسل ولدك الأمير أرحب إليكم  
فهو يقريكم السلام ويقول لك إنه قد استعاد أثافت  
وقتل والي الهادي وجميع أنصاره وحشد الناس لحرب  
الهادي.. وإن الهادي يعد العدة للحرب .. وهو يدعو  
للإنضمام إليه بمن معك من الجنود.

وما إن سمع الدعام هذا الكلام حتى تجمدت اللماء في  
عروقه وتخشبت أعضاؤه .. ولو أن صاعقة أخذته لكانت  
أهون عليه من ذلك الخبر .. فقد اسود وجهه .. واشتد  
غمه .. وتحولت أعماقه إلى نار تتوقد.

الدعام - في انفعال-: بمشورة مَنْ وأمر من فعل هذا الأحمق  
العاق لوالديه كل هذا؟ .. فلم نكد نأنس بالصلح..  
ويأمن الناس.. حتى أشعل نار الفتنة .. إنها الحماسة  
بعينها .. إنها الحماسة بعينها.

وتركهم الدعام مغضباً وانصرف ليخلو بنفسه .. ومن  
جديد بدأ صراع بين قوى الخير والشر .. فقد وقف الدعام

يقلب الآراء ليحلد وجهته .. فلم يجد أمامه إلا أحد أمرين:  
إما إرضاء نزعة الملك وحب السلطة وتغليب عاطفة  
الأبوة .. وإما الوفاء بالعهد واتباع الدين وتغليب  
مصلحة الأمة.

إنها الحرب لا محالة ... ولكن في ركب من سيسير  
الدعام هذه المرة؟ وفي وجه من يجب أن يشهر سيفه؟

لم يُمكنْ أرحب وبنو سليمان الدعام من أن يعارضهم  
أو يثنّهم عما عزموا عليه فقد شحّنا الأجواء بالحماس  
وأحاطوه بزمرة ترى رأيهم .. ولم يستطع حتى أن يفاتحهم في  
أمر الصلح .. الكل صار ينادي بالحرب .. ولقد عرضوا  
أمامه الجيش فحركوا فيه تلك النزعة التي كان قد تغلّبَ  
عليها فلم يتركوه حتى وافقهم على جميع أمورهم وخرج  
على رأس الجيش بكامل عدته يستعد للحرب.

\* \* \*

ما إن وصلت أخبار ابن الدعام إلى الإمام الهادي

وأصحابه حتى خيمت سحابة الحزن على بيت زود .. ولم يعد الإمام الهادي وأصحابه يدرون لأي شيء يحزنوا .. هل لنقض العهود والخيانة من ابن الدعام؟ أم لانتهاك الحرم وقتل المؤمنين؟ أم لأنه لا بد من خوض حرب كانوا قد ظنوا أنهم قد كفوا شرها.

كان مجرد التفكير فيما حدث في أثافت من الجرائم .. ونقض الدعام العهود كفيلاً بخلق الإحباط في النفوس .. لكن الإيمان الراسخ في النفوس كان كفيلاً بمواجهة تلك العواصف والعقبات التي يمكن أن توضع في طريق الدعاة إلى الله.

فقد تجاوزوا موجة الحزن وجعلوا منها طاقة تدفعهم إلى العمل.

لذلك اجتمع أنصار الإمام الهادي (ع) إلى الحق للمشورة والنظر في الأمر .. وأجمع رأيهم على أنه لا بد من خوض هذه الحرب المفروضة عليهم.

وانطلق في اليوم الثالث من شوال سنة ٢٨٥ هـ جيش لا يتجاوز عدده خمسمائة راجل وثلاثين فارساً نحو أثافت للقاء عدوهم.

لم يكد الجيش يقطع المرحلة الأولى من سفره حتى ظهرت لهم من بعيد كوكبة من الفرسان والمشاة يقبلون نحوهم.

توقف الإمام الهادي (ع) ينتظر وصولهم...

فلما اقتربوا وبانوا ملاحظهم جعل الإمام الهادي (ع) يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون... ويكررها.

لقد كان القادم هو أبو القاسم محمد بن الإمام الهادي (ع) وجماعة من أهل خيوان.

ألقى محمد بن الهادي التحية واعتنق أباه وقبل يديه.

الإمام الهادي: خيراً يا أبا القاسم .. ما أقدمك علينا في هذه الأيام؟ هل حدث شيء في خيوان؟

محمد خيراً يا أباي سأقص عليك القصة فيما بعد فلا  
يشغلك أمري.

الإمام الهادي: بل اللحظة يا بني فإن أباك غداً لمسئول عنهم.

محمد لقد نقض أهل خيوان عهدهم ونصروا ابن الدعام  
ولولا أن نصرنا الباري من عنده وبعض الرجال  
المخلصين لقتلنا أو أسرنا.. فأحببت أن أخرج من بينهم  
فأكون لك عوناً في حربك.

الإمام الهادي: ما أهون نقض العهد عليهم وما أسرعهم إلى  
الخيانة. بالأمس دعونا واليوم قاتلونا!! إنا لله وإنا إليه  
راجعون!!

(٢)

ما إن اقترب الإمام الهادي (ع) من أثافت حتى كان  
الدعام بن إبراهيم وولده أرحب قد خرجا على رأس

جيش يفوق عدده ألف راجل ومائتين وثلاثين فارساً.

جعل الإمام الهادي (ع) يتأمل في وجوههم وكأن سؤالاً  
يتردد في أعماقه: أي نوع من البشر هؤلاء؟.. فكلمات  
العهد لا تزال أصداؤها تتردد.. ومداده لم يجف بعدس..  
أي نوع من الرجال هؤلاء؟.. وأي إسلام هو هذا الذي  
يدعونه؟

ومن ساعته أمر الإمام الجيش بالتعبئة لخوض المعركة..



وبينما الإمام الهادي (ع) ينظم الجيش إذا ببعض الرسل  
يقلمون نحوه حتى وقفوا بين يديه.

الإمام الهادي: من أين أقبلتم؟ وماذا تحملون؟

- لقد أقبلنا من وسحة من عند أبي جعفر محمد بن  
عبيد الله.

الإمام الهادي: وما الأخبار؟



— إن أبا جعفر يبلغك السلام ويخبرك أنه قد بلغه أن وال  
من بغداد من دولة بني العباس سيصل في هذه الأيام  
لِيَتَوَلَّى أمر البلاد .. وإن هذا الخبر قد فشا في أوساط  
الناس .. فلجئاً بعض المخالفين .. فقد خرج أبو  
الدعيش وأعد العلة للحرب .. وإن أهل ساقين قد  
خرجوا على واليهم وهو يطلب منك النجدة.

الإمام الهادي: الحمد لله .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .. أبلغوه  
عني السلام وأخبروه بما نحن فيه .. وقولوا له فليعد إلى  
صعدة ويتولى أمرها ويسلم أخي عبد الله بن الحسين  
هذه الرسالة..

وناوهم رسالة كان قد أعدها تتضمن الأمر لأخيه عبد الله  
بالسفر إلى بلاد الرّسّ حال وصول الرسالة إليه.

والتفت الإمام الهادي (ع) إلى جيشه فإذا الجميع قد  
أخذوا أماكنهم .. فقد وقف بنو ربيعة وبنو معمر من أهل  
همدان وجماعة من بني سعد في القلب .. وبنو صريم في

الميمنة وبنو عبيد من بني ربيعة في الميسرة .. واستعد  
الجميع لخوض المعركة.

في حين استعد جيش الدعام للقتال .. ووضع الدعام  
كميناً قريباً من قرية أثافت .. وأمر بإخراج أهله ومتاعه من  
القرية مخافة الهزيمة .. ثم اختار ثلاثين فارساً من الأشداء  
وعلى رأسهم الفارس اليميني الذي عرف بقوته وصلابته  
وفروسيته سعيد بن أبي سورة .. وحلده مهمته في المعركة  
وهي قتل الإمام الهادي (ع) فقد أدرك أن في مقتله  
هزيمة لأصحابه.



تقارب الجيشان والتحمت الأطراف وكثرت الجراحات  
واستمر الناس في القتال والمناوشات.. فلما اشتد الأمر  
على الدعام وجيشه.. أمر الدعام بثياب جميلة  
فلخرة فنشرت.

وجعل جماعة من جنوده ينادون في الناس من أراد الثياب

والكسوة فليأتنا..

وهنا تحركت في النفوس نزعة حب الدنيا.. وتباينت  
الأهواء.. وسقطت النفوس الضعيفة مهزوزة الإيمان.. وآن  
للخبيث أن يُمَيِّزَ عن الطيب .. وارتفع شعار ﴿وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ  
حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلِّغُكُمْ﴾.

وانطلق جماعة ممن يعبدون الله على حرف فاستجابوا  
لنداء الدنيا .. وما رجعوا إلا وقد لبسوا الثياب .. فلحقهم  
جماعة أخرى ..

واضطرب معكسر الإمام الهادي (ع) .. فما كان من  
الإمام إلا أن هبط من ربوة كان قد استقلها يرقب المعركة  
منها ويوجه الجيش.. ثم صاح بالناس: هلموا أيها الناس إلى  
جنة الخلد وملك لا يبلى.

ثم توجه نحو صفوف الأعداء.. وتبعه أصحابه.. فما زال  
يزحف حتى زحزح الدعام وجيشه من أماكنهم.

وغابت شمس ذلك اليوم لتصبغ الأفق بجمرة الشفق

غضباً على الظالمين وإشفاقاً على المؤمنين .. وكأن حمرة  
تفدي دماء المؤمنين .. وتراجع الجيشان كلُّ يراجع حساباته  
ويعد انتصاراته أو يتلاوم أفراده على تفریطهم .

وجلس الإمام الهادي (ع) بين رجاله يتفقد الجرحى  
ويعزي أهالي الشهداء .. وكان معسكره في منطقة لبني  
ربيعة تسمى (كراوي) .. ثم تحول إلى منطقة  
الدرب .. واستراح الناس بعد يوم شديد من الكر والفر  
والقتل والقتال.

(٣)

وفي ساعة من ساعات الليل دخل محمد بن سليمان  
الكوفي وعبد الله بن الحسين الفطيمي على الإمام  
الهادي (ع) .. فإذا هو منهمك في الذكر والتلاوة  
فتراجعا يريدان الخروج فأحس بهما الإمام الهادي (ع)  
فنادى عليهما .. فجلسا إليه وجعل يحدثهما ويحدثانه.

محمد بن سليمان: يا مولاي رأيتك أول هذا اليوم ترسل مع

رسول محمد بن عبید الله إلى أخيك أن يتوجه إلى الحجاز  
ألست أحوج إلى بقائه هناك؟ فالبلاد بحاجة إليه.. وإني  
أخاف أن يضطرب أمرها بغيابك وغيابه.

الإمام الهادي: يا محمد لقد كاد المال الذي أصرف منه أن  
ينفذ فأرسلته ليأتي لي بما أحتججه من مالي في الرس.

عبد الله الفطيمي: الخير كثير يا مولاي... فلتصرف على  
نفسك وعيالك من نصيبك في الغنائم.

الإمام الهادي: لا والله يا عبد الله ما خرجت إلى هذه البلاد  
طمعاً في شيء من متاع الدنيا.. فوالله ما أكلت من  
اليمن ما يساوي درهماً وإن شاء الله لا أحتج إلى  
شيء منها.

ثم التفت إلى محمد بن سليمان وقال له:

- يا محمد انطلق إلى أبي العتاهية في صنعاء.. واستعجله  
فيما كان قد وعدنا به من الخيل والرجال.. فإني أخاف

أن يطول بنا المقام هنا .. وأرى أن الناس لا يحتملون  
وعورة هذا المكان .. وأمر إسماعيل بن المسلم أن ينتظر  
في ريلة .. فقد أرسلته قبل أيام وخرج ببعض المدد.



## الفصل الرابع

(١)

في يوم الثالث عشر من شوال سنة ٢٨٥ هـ اجتمع الناس إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ع) لينطلق بهم إلى أنافت لخوض المعركة من جديد.

وهناك في أنافت دخل أرحب ومن معه من الجيش إلى القرية.

فجعل أرحب يلوم سعيد بن أبي سورة.. لأنه لم يقم بمهمته.

أرحب: أين أنت يا سعيد؟ لم نر لك أثراً ولا لخيالك في معركة اليوم.

سعيد: يا مولاي إن وعورة الأرض جعلت الخيل عاجزة عن المشاركة في المعركة.

أرحب: ماذا تعني؟ هل تريد أن تبقى مائتين وثلاثين فارساً  
في موقف المتفرج؟ لا بد أن نتخذ طريقاً يتمكن بها  
الخيالة من المشاركة في المعركة.. ثم سأله قائلاً:

- ولكن ما الذي حملك على السكوت إلى اليوم؟ أخفت  
سيف العلوي؟!

سعيدنا أو مثلي يخاف يا أرحب؟ ولكن ابنوا لي خلف هذا  
الجبل مدرجاً تصعد منه الخيل وسترى ماذا أفعل فوالله  
ما مثلي من يرهب حر السيوف.

وعلى الفور بدأ العمل في بناء المدرج بصورة سرية  
وبشكل هادئ لا يلفت الإنتباه.

\* \* \*

واجتمع أصحاب الإمام الهادي (ع) وتقدموا نحو أشافت  
وعندما اقتربوا خرج جيش الدعم برجاله ولم يُرَ  
معهم الفرسان.



لم يكن خوض المعركة هو كل ما يشغل  
الإمام الهادي (ع).. فقد كان يثقل صدره كثير من  
الأحداث .. فهذا محمد بن عبيد الله .. وابن عمه وما حدث  
لهم .. وهؤلاء أهل خيوان وخيانة بعضهم .. وذلك والي بني  
العباس الموعود بوصوله في هذه الأيام.

لقد كان رأس الإمام الهادي (ع) في تلك اللحظة بجرأ  
متلاطم الأمواج يحمل في كل زاوية منه مشكلة .. ولولا  
ذلك الجبل من الإيمان النبي كان قد تجذرت أصوله في  
أعماق الإمام الهادي (ع) لخارت قواه واضطرب أمره ..  
ولكن تلك القاعدة التي اتخذها الإمام الهادي (ع) في مثل  
هذه المواقف كانت من أهم العوامل التي ساعدته على  
الثبات وتحمل المصاعب .. فالتوكل على الله سبيله  
ومنهجه .. وعظم البلوى وشلة المصيبة تزيد شكراً لله  
وتقربه من مناجاته.

وانطلق محمد بن الهادي ليخوض المعركة بين يدي أبيه  
فخرج مع أربعة من أصحابه .. فجعلوا يهاجمون جيش

الدعام فانهزم لهم جيش الدعام حتى وصلوا قرب أثافت.  
وفجأة هجم عليهم كمين من أمامهم فيه كثير من  
الفرسان .. ولكن قوة الاندفاع لدى المدافعين جعلتهم  
يبعثرون ذلك الكمين .. فجعلوا من فيه طرائق قَدَا.

انشغل الناس بمتابعة ذلك المشهد المضحك المبكي في  
نفس الوقت فلم يلتفتوا إلا وقد أطل عليهم الدعام مع  
جمع من خيله من أعلى التل وبسرعة عاين الدعام  
ذلك المشهد الذي يتابعه الناس .. فأمر جماعة من جنده أن  
يقطعوا على محمد بن الهادي (ع) طريق العودة وأن يشددوا  
من الحصار على من في التل من جند الإمام الهادي (ع).

أدرك الإمام الهادي (ع) ما أراه الدعام .. فالتفت إلى من  
حوله فوجد الناس قد تبعثروا إلا سبعة فرسان يقفون قريباً  
منه فأشار إليهم وحمل على جيش الدعام.

وانفصل الإمام الهادي (ع) عن جيشه وسنحت  
الفرصة .. وتآقت النفوس .. وثارت شهوة اللماء .. وبرقت  
العيون .. ووقع الصيد في المصيلة.

نظر الدعام إلى سعيد بن أبي سورة نظرة فهم الجميع  
منها ما الذي يجب عليهم أن يفعلوه.

وفي تلك اللحظات رفعت الرماح وتوجهت لتمزق  
الجسد الطاهر.. وانطلق أربعون فارساً تسبقهم رؤوس  
رماحهم .. وصاح محمد بن أبي سورة: الآن يا رجال لا  
يفتكم الرجل .. أقرؤا عين أميركم بقتل خصمه.

كانت هذه الكلمة تعني رسم آخر مشهد في سجل حياة  
الإمام الهادي (ع).

لم يبق إلا دقائق ويخر الفارس المغوار صريعاً...  
لا.. إنه لن يقتل فحسب بل سيتمزق جسده على  
رؤوس الأسنة.

\* \* \*

كان جنود الدعام يسابقون الريح، كل يبغي أن ينال  
الشرف والمرتبة العلية بأن رمحه أول من مزق صدر الإمام  
الهادي (ع).

لم يغير الإمام الهادي (ع) وجهته ولم تتغير ملامح وجهه.  
كأنه ينتظر شيئاً ما وكأن غيره هو المعني بتلك الهجمة..  
وكان رماح القوم متوجهة إلى غير صدره.

وفي اللحظة الأخيرة وعلى بعد أمتار كان لا يزال الخطر  
في أشده..

وقبل أن تلامس الرماح ذلك الجسد الطاهر، تدخلت  
عناية الله واستجاب الرفيق الأعلى لمنجاة الإمام العادل  
المظلوم..

وتجمدت الأيدي على الرماح.. وتزلزلت تلك القلوب  
الصلبة بوابل من سهام الرعب والخوف وتفرقوا عن يمين  
الإمام الهادي (ع) وشماله كل يرجو النجاة بنفسه.

لم يستشعر الجميع ماذا حدث؟ شيءٌ ما قلب الموازين..  
إنها عناية الله إنها النجاة الإلهية... إنه الله الذي يقول  
للشيء كن فيكون.

وقف سعيد بن أبي سورة في مكان منعزل .. فأحس أن  
فرائضه ترتعد وأنه يشعر بخوف ورعب شديدين إنه لا  
يكاد أن يقوى على الوقوف .. جعل يردد في نفسه: لا .. لا  
والله ما هذا الذي فعل في كل هذا الفعل من قوة البشر ..  
ما هي إلا قوة رب البشر .. والله ما عرفت الجبن والخوف  
منذ عرفت نفسي.

ووقف الإمام الهادي (ع) في مكانه صلباً بارداً الأعصاب  
مطمئن البال يقارع القوم مرة بسيفه وأخرى برمحه ..  
فجعلوا يهاجمونه مرة بعد مرة مؤملين أن ينالوا منه شيئاً.  
كان الكثير من جيش الدعام وآخرون ممن لم يكونوا قد  
عرفوا الإمام الهادي (ع) يرقبون ذلك المشهد في ذهول  
غريب لا يكادون يصدقون ما يرون.

ومع انحدار الشمس نحو مغربها واصفرار لونها كان كل  
من المعسكرين يعود بجنوده بعد يوم من القتال المضني ..  
كانت الجراحات لا تكاد تُعدُّ بينما القتلى بالعشرات.

رجل واحد هو الذي توقف في معزل من المعسكرين  
يحاور نفسه ويدعو الله أن يوفقه لما فيه خير دينه ودينه.

لقد رأى في هذا اليوم شيئاً كان كفيلاً بأن يعيده إلى  
صوابه .. ويجعله يفكر ألف مرة قبل أن يخوض معركة  
جديدة.. ففي أي الصفوف يجب أن يقف  
في المعركة القادمة؟؟ كان يقول في نفسه: أنا قائد الخيل  
وصاحب الكلمة المسموعة عند بني الدعام .. لا .. لا يمكن  
أن أخدع نفسي.

ودار في نفسه صراع رهيب يفوق تلك المعركة التي  
خاض غمارها قبل لحظات.

إنه صراع العقل والهوى .. صراع الدنيا والآخرة ..  
صراع ذو أسلحة فتاكة .. كلٌّ من طرفيه يريد أن يربح  
ويعيل بنفس ذلك الفارس إليه .. وعندما تحلّدت نتيجة  
ذلك الصراع .. حمل سعيد بن أبي سورة متاعه واتجه صوب

معسكر الإمام الهادي (ع) ليعلن بيعته وتوبته بعد أن رأى  
من آيات ربه الكبرى ما رأى.

(٢)

وهناك في بيت الله الحرام كان الحُجاج يطوفون بالبيت  
بين ملب ومسبح يقبلون الحجر الأسود يتلمسون فيه آثار  
تلك الأيادي الشريفة .. يبحثون عن كل ما يمكن أن  
يذكرهم بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ..  
عند قبره وفي الحرم المدني تخنقهم العبرة وتعلو وجوههم  
الحسرة يشكون إلى الله وإلى رسوله سوء حالهم والفساد  
الذي تفشى في أمتهم.

كان الكثير من الحجيج يبحثون عن رسول الله صلى الله  
عليه وعلى آله وسلم في الأحجار والأشجار .. فذلك يزور  
غار حراء .. وآخر يبحث عن رائحة ذكرى رسول الله صلى  
الله عليه وعلى آله وسلم في غار ثور .. وثالث يسأل عن

أحجار بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين صارت.  
وبين ذلك السيل البشري الذين أتوا لأداء مناسك  
حجهم وطلب رحمة ربهم.. وقف جماعة من الطبريين  
يبحثون عن آثار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
ولكن ليس في الأحجار والأشجار بل في الأحفاد والذرية.

فجعلوا يسألون كل من يلمسون فيه سيماء الصلاح:  
ماذا تعرف عن ذلك الرجل الذي ظهر في اليمن؟ وكرروا  
السؤال مراراً.. فلم يجدوا من يدهم على خبر الإمام  
الهادي (ع).

فالتعتيم الإعلامي والخوف من السلطة كانا يقفان  
حائلين بين الحصول على مثل هذه الأخبار المنوعة في بلد  
يسيطر عليه ولاية بني العباس.

ولما علم الله صلح نياتهم وحبهم للجهد في سبيل الله



هياً الله لهم من يدلهم على طلبهم.

\* \* \*

كان علي بن محمد بن عبيد الله كثيراً ما يسبح بفكره في ذكريات الأمس ويتذكر كلمات والده وهو يودعه: إنك غلام صغير السن لم يجب عليك لله حجة فابق هنا بين أهلك فإذا رأيت في نفسك استطاعة على الخروج فأقبل عليّ.

وكان يردد هذه الكلمات ثم يقول في نفسه: أما الآن فقد صرت رجلاً وأصبحت قادراً على الخروج.

كان شوقه لأبيه وللجهاد معه يجعله يفكر بالخروج إلى اليمن ولكن الشيء الذي كان يقف حائلاً بينه وبين الخروج كيف سيتجاسر أن يقبل على أبيه لوحده.. وقد وعد أباه أن يجمع له الأنصار ممن يستجيبون لدعوة الإمام الهادي (ع).

وفي صبيحة أحد الأيام سمع طرقاتاً على الباب فاسرع

ليرى من الطارق.

علي: من الطارق؟

- نحن رجال من طبرستان لنا إليك بعض حاجة.

فتح علي الباب وأحسن استقبال القوم وأكرمهم .. ثم  
جلس إليهم لينظر حاجتهم..

علي: من القوم؟ وما حاجتكم؟

كبير القوم: يا بني نحن من شيعتكم جئنا للحج وهانحن  
بحمد الله قد أكملنا المناسك ولقد بحثنا عن رجل يدلنا  
على أخبار ذلك الرجل الذي ظهر في اليمن ويدلنا  
على طريق للاتصال به.. ولكن الجميع كان يتخوف من  
ذلك حتى وجدنا من دلنا عليك فرجوننا أن نجد  
حاجتنا عندك.

تأمل عليّ في وجوه القوم .. فلمس فيهم الصلاح..  
فجعل يقول في نفسه: لا يمكن أن يكون هؤلاء من  
جواسيس وعيون بني العباس .. ولكن يجب أن أحتاط.

علي: ومن النبي أخبركم بقيام رجل من أهل البيت  
في اليمن؟

كبير القوم: يا بني.. نحن من أهل طبرستان.. وقد جاهدنا  
مع الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد.. فلما انتهت  
دولتهم تولى علينا ولاية ساموا الناس سوء العذاب..  
فجعلنا نبحت عن رجل من أهل هذا البيت.. علنا نجد  
من يقوم بأمر الدعوة.. فلما بلغتنا أخبار خروج رجل  
منهم في اليمن خرجنا للحج.. ولعل الله أن يمن علينا  
بلقائه والجهاد بين يديه.. وليس لنا معرفة بهذه البلاد..  
فإن استطعت أن تدلنا عليه أو على بعض دعائه..  
فجزاك الله عنا خير الجزاء.

علي- وقد أشرق وجهه ولمس في كلامهم الصلق:- وكم  
عددكم؟

كبير القوم: نحن لا نقل عن خمسين رجلاً.

علي: إذا فاسم أيها الرجل .. أنا اسمي علي بن محمد بن  
عبيد الله من ولد العباس بن علي بن أبي طالب.

ووالدي هو ممن خرج إلى اليمن مع الإمام الهادي (ع)  
قبل ثلاث سنوات .. وقد وعدته أن ألحق به إذا ما بلغت  
سن الرشد ووالله ما ردني عن الخروج إليهم إلا الحياء أن  
أقبل عليهم بمفري .. فأعدوا عدتكم لنتحل إليهم من  
الغد إن شاء الله.

الرجل: أصلحك الله يا ولدي .. وبلغك ما تؤمل من أمر  
دينك ودنياك وآخرتك.

## الفصل الخامس

(١)

أبو العتاهية: هل جهزتم الجنود الذين كنت أمرتكم  
بإرسالهم لنصرة الإمام الهادي في حربه.

قائد الجند: العفو يا سيدي. فالجنود يتهربون من هذه  
المهمة.. فبعض بني عمك يخوفونهم من شلة الهادي  
وعدله .. وأنه لا يتهاون مع من يقع في المعاصي.

أبو العتاهية: الله أعلم إلى أين سيصل ببني عمنا هذا الحقد  
والحسد الذي صار يعمي أبصارهم عن رؤية الصواب  
وإتباع طرق الهداية!!

كان محمد بن سليمان الكوفي يطرق أبواب قصر أبي  
العتاهية في هذه اللحظات .. فأمر أبو العتاهية بإدخاله ..  
وقدم إليه ما لذ وطاب وجعل يكرر الاعتذار من

تأخر النجلة.

أبو العتاهية - وهو يلتفت إلى قائد شرطته -: ابعث إلى  
أخي جراح وأخبره أنني أريد الساعة.

وما هي إلا لحظات حتى دخل عليه رجل عليه ملامح  
البطولة والفروسية ومسحة إيمانية..

جراح: السلام عليكم ورحمة الله.

أبو العتاهية: وعليك السلام يا أخي.

جراح: أنا طوع أمرك يا أخي.

أبو العتاهية: اختر خمسين فارساً ممن تعرف صلاحهم  
وأخرج مع محمد بن سليمان إلى يحيى بن الحسين  
وأوصيك بأن تكون له نعم الأخ ونعم الناصح.

جراح: الآن يا أخي.. فاستعد يا محمد للسفر.

(٢)

وفي معسكر الإمام الهادي (ع) جعل محمد بن أبي سورة

يرقب تصرفات الإمام الهادي (ع) بإعجاب وحب لعد أن  
زرع الله حب الإمام الهادي (ع) في قلبه.

فلما سنحت الفرصة لمحمد بن أبي سورة تقدم إلى  
الإمام الهادي (ع) وجلس بين يديه.

محمد: هل تأذن لي أن أسألك.

الإمام الهادي: لقد صرت يا محمد أحماً لنا .. لك ما لنا  
وعليك ما علينا .. فاسأل ما بدا لك.

محمد: أما استشعرت الخوف عندما أقبلنا برماحنا نحوك؟

الإمام الهادي: والله يا محمد ما داخل قلبي منكم رعب ولا  
اعتددت بكم.. وكيف أعتد بكم وأنا أعلم أن الله  
معي .. فإن قتلت فإلى الجنة وإن قتلت منهم أحداً  
فإلى النار؟

\* \* \*

كان الإمام الهادي (ع) قد استقر في بعض بلاد بني  
ربيعة .. وتحدث إلى الناس يوماً فقال:

والله لو أطاعني الناس وصبروا معي ما تركت قتل هؤلاء الظلمة يوماً واحداً في حر ولا برد حتى ألحق بالله أو ينصرني الله عليهم .. وودت أني لا أنزل من سرجي ليلاً ولا نهاراً إلا لوقت صلاة حتى يظهر الله الحق بي أو ألحق به سبحانه .. فالله المستعان على عجز الناس وقلة ثباتهم وضعفهم عن إقامة الحق.

وتناقل الناس هذا القول فعلم به الخاص والعام فاجتمع بنو صريم وبنو ربيعة .. وخرجوا إلى الإمام الهادي (ع) بالطعام والشراب وجلس وجهاء القوم إلى الإمام الهادي (ع) فقالوا:

- يا ابن رسول الله .. هلا أقمت في هذا المكان وتركتنا نقاتل هؤلاء القوم.

الإمام الهادي: لا والله .. لا تقاتلوهم حتى أكون أنا أحدكم.

- يا مولاي .. إنهم قد قتلوا منا ثلاثة أنفس ونهبوا أموالنا بأثافت فاتركنا نأخذ بثأرنا.



الإمام الهادي: إني أخاف أن تقتلوا من لا يقاتلكم ..  
وتنهبوا من لم ينهبكم.

فلما خرجوا من عند الإمام الهادي (ع) جعل  
بعضهم يقول:

- إن كنتم قوماً لا تأخذون بدمائكم فابنوا لكم مسجداً  
واجلسوا هنا مع الهادي.

فعلم الإمام الهادي (ع) بهذا القول فأرسل إليهم:

«إن أحدث أحدكم حدثاً بغير أمري بدأت بقتاله .. وإن  
تكونوا لا تسمعون ولا تطيعون .. أطلب عشيرة تنصرني  
وتقوم معي غيركم».

فأقبلوا إليه معتذرين:

- لا يا ابن رسول الله .. بل نموت كلنا بين يديك .. فأمرنا  
بأمرك بما أحببت .. وافعل بنا ما شئت .. فنحن سامعون  
مطيعون.

الإمام الهادي: جزاكم الله خير الجزاء .. وشكر لكم سعيكم..  
والله ما نهيتكم عن قتال القوم إلا خوفاً عليكم من  
النار .. وأن تتقحموا في دماء الأبرياء .. ولكن إن كنتم  
تريدون فعل شيء يكتب الله لكم به الأجر فليخرج  
جماعة منكم لحصار القوم في أثافت ومنع أي مدد من  
الوصول إليهم .. فلعل الله يعجل النصر لنا  
بفعلكم هذا.

وفعلاً حاصر القوم أثافت مدة من الزمان والإمام  
الهادي (ع) واقف في معسكره يُعلم الناس معالم دينهم  
ويبصرهم ويعظهم منتظراً وصول المدد حتى يستأنف  
الحرب من جديد.

(٣)

وهناك في أثافت حيث كان الدعام وولده وجيشه.. فبعد  
طول تحمل وصبر ومسايرة للأحداث وإرضاء لرغبات  
القوم وهوى النفس بدأ الدعام بن إبراهيم يراجع مواقفه.

فقد دخل عليه أحد أصحابه و قد بدت عليه آثار  
التعب والخوف فقد اصفر لونه وصار العرق يتصبب من  
كل شعرة في جسمه.. ففزع الدعام وأقبل على الرجل.

الدعام: ما وراءك؟

الرجل: يا مولاي .. إن أكثر من خمسين فارساً في كامل  
عدتهم قد دخلوا إلى معسكر الهادي قبل ساعات.

الدعام: هل عرفت من أي وجهة جاءوا؟

الرجل: لقد سألت عن أمرهم هنا وهناك حتى عرفت أنهم  
نجدة أرسلها أبو العتاهية على رأسها أخوه جراح لمناصرة  
الهادي في حربه ضدنا.

بهت الدعام .. واصفر لونه .. واضطرب أمره .. ولم ينبس  
بكلمة واحلة .. بل غشيته سحابة من الغم والحزن .. وبات  
تلك الليل مسهداً لم يعرف النوم الطريق إلى عينيه .. وهو  
يفكر في أمره.

وفي الصباح جلس في أوساط قومه شارد الذهن لا يكاد يدرك ما حوله .. فإذا أحد جنود المراقبة يدخل عليه عند الظهر.

الدعام: وأنت أي خبر تحمله يا هذا؟. أوصلَ إلى الهادي مددًا آخر؟

الرجل: لا يا سيدي .. بل أعظم من ذلك .. فقد خرج الهادي اليوم في جمع كثيف إلى بلاد بني عمك من قبيلة أرحب .. فدخل قرية خرفان والسبيح يدعوهم إلى الطاعة.

الدعام- وهو ينتصب واقفاً في كرسیه-: وهل قاتلوه؟ هل منعه من دخول بلادهم؟

الرجل: لا.. بل خرجوا من بلدانهم إلى رؤوس الجبال خوفاً من الهادي وجيشه.

الدعام: إذا فقد نهب بلادهم واستباح أموالهم .. فهو يعلم أنهم من أصول بهم وأجول في حربي معه.

أرحب: إنهم يتظاهرون بالدين ويفعلون الأفاعيل.

رجل من أهل خيوان: مهلاً يا قوم دعوا الرجل يكمل حديثه ... ثم التفت إليه:

- أكمل يا هذا ثم ماذا حدث؟

الرجل: منع الهادي الجيش من دخول القرية وأرسل من نادى على وجهاء البلاد فنزلوا إليه .. فوعظهم وأعطاهم الأمان لهم ولقومهم .. وترك عندهم من يرشدهم ويعلمهم وعاد هو وجميع جيشه سالمين غائمين.

الدعام: كلما تمنينا للرجل عشرة زاد في الناس فضلاً .. ما أعجب ما يحدث في هذه الأيام .. أصبح أبو العتاهية مبيضاً وصرت مسوداً .. لا بارك الله في قوم حملونا على هذه الحرب وأقحمونا فيها.

كانت هذه الكلمات كفيلاً بأن يلتفت الجميع إلى أرحب.. وبني سليمان الذي نكسوا أنظارهم إلى الأرض واحمرت وجوههم خجلاً.

ثم أكمل الدعاء كلامه قائلاً:

- ليتني أعلم ماذا ينوي الهادي أن يفعله بعد أن دانت له  
أرحب بالطاعة وهم بنو عمنا وأعظم أنصارنا.

وحاول أرحب أن يُحوّل دفة الحديث إلى موضوع آخر.

أرحب: أين قائد الفرسان محمد بن أبي سورة؟ فمنذ  
انتهت المعركة لم أراه؟

أحد بني سليمان: عظم الله أجرك أيها الأمير.

أرحب: أقتل في المعركة؟

الرجل: ليته قُتل ولم يفعل ما فعل .. فقد تحول إلى الهادي  
بعد أن ادّعى أنه رأى من الكرامات ما دله على صلوق  
الهادي وتقواه .. ولم يذهب حتى أفسد علينا جل جيشنا  
من الفرسان.

أرحب: قبحه الله ما أخبثه وأجبنه.

الدعاء: اسكت أيها الأحمق فوالله ما عرف الجبن بل رأى

الحق فاتبعه.

ولم يكد الدعام يكمل كلامه حتى خرج من أوساطهم  
وتركهم يسبحون في بحور الحيرة لا يفهمون ماذا يقصد  
الدعام بهذا الكلام.

سرت هذه الكلمات في أوساط جيش الدعام لتنتطق  
الأفواه الصامته بما تجرعت القلوب من ألم كتمانها طويلاً.

فبدأ العساكر في الحديث عما رأوا من عظمة الإمام  
الهادي (ع) وقوته وكراماته مما جعل بعضهم يقول: والله لا  
أعود إلى قتال ابن رسول الله.. وفرّ بعضهم عائدين إلى  
بلدانهم.. وانضم بعضهم إلى أصحاب الإمام.

\* \* \*

فهم أرحب وبنو سليمان ماذا قصد الدعام بكلماته  
تلك.. فقرروا أن يقاوموا ذلك الإحباط وتلك الهزيمة  
النفسية بأن يبعثوا إلى بعض أصدقائهم يطلبون  
منهم النجدة.

فخرج أرحب على رأس مائة فارس يريدون بعض المناطق .. ولكن أولئك الذين أمرهم الإمام الهادي (ع) بسد الطريق وحصار القرية كانوا لهم بالمرصاد ..

وبعد مناوشات قصيرة أدرك أرحب أن الأمر صعب فعاد هو ومن معه إلى أثافت وقد صار أقرب شيء إلى رأي أبيه.

دخل أرحب على أبيه يريد أن يواسيه ويشعره بأنه يشاركه ولو بعض آرائه ويحاول أن يعطيه دفعة من الأمل.

أرحب: هلى من روعك يا أبى .. إن شاء الله سيصل الوالى العباسى .. فقد بلغنى مسيره إلى اليمن ولا أشك أنه سيقضى على الهادي ومن معه .. فقد بلغنى أنهم شديلى العدا للعلوين.

الدعام: عيبك يا ولدى أنك دوماً تمنى نفسك بالأوهام فهل تعرف ماذا حصل البارحة؟! لقد وصل إلى الهادي ما يزيد عن خمسين فارساً .. وهل تعرف من أين؟ من طبرستان من أقصى بلاد المشرق .. فلو كان هذا الوالى العباسى سيصل لوصل منذ شهر..



اسمع يا أرحب .. إنني الليلة مغادر أثافت ومرسل إلى الهادي من يطلب لي منه الأمان .. فإن كنت تريد طاعتي فامض فيما أمضي .. وإن كنت لا زلت مغروراً بسيوف بني سليمان فاذهب إليهم.

أرحب - وقد قتل أبوه بكلامه هذا آخر أمل له في تنفيذ آماله ومجونه -: بل أسمعُ لك وأطيع ولا أخرج لك عن رأيي.. ولكن هل ترى أن الهادي يعفو عنا ويقبل منا الاعتذار؟

الدعام: إنك لم تعرفه يا ولدي .. والله لولا أنت ما دخلت في حرب معه أبداً..

ولم يكد الليل ينتصف حتى بدأ الدعام ومن تبقى معه في الخروج من أثافت دون أن يشعر بهم أحد من أنصار الهادي.

\* \* \*

وأخذ الإمام الهادي (ع) يعد الجيش لخوض المعركة

الفاصلة مع الدعام وجنده فإذا بالأخبار تأتية بأن الدعام  
خرج من أثافت فحمد الله أن كفاه ومن معه القتال وجعل  
ينتظر نهار ذلك اليوم ليتيقن من الأخبار وصدقها.

(٤)

كان الدعام قد عاد إلى بلده وأظهر التوبة وحسن السيرة  
في الناس.. وأعلن الطاعة للهادي وأرسل الرسل يطلبون  
له الأمان.. وطلب إلى الإمام الهادي (ع) أن يرسل إليه من  
يعلمهم أمور دينهم ويتولى أمر البلاد.

وأخذ الدعام مجموعة من خلمه كانوا قد شربوا الخمر  
فجلدهم الحد..

وساد الأمن في البلاد، واستقر الناس، وأنسوا إلى  
السلام.

ولكن لم تغب شمس اليوم الذي خرج فيه الدعام من  
أثافت حتى أقبل أهل أثافت في أسوأ حال .. يصرخون

ويستنجدون بالإمام الهادي (ع).

فبادرهم الإمام الهادي بالسؤال:

- ما الخبر يا قوم؟..

أحدهم: نحن نعلم أنا قد اجترأنا في حقك ونقضنا عهدك..  
وقد أتيناك نرجو عفوك ورحمتك بنا وبأهلنا .. فليس كل  
من فينا مسيء ومريد لما حدث .. وإنما ذلك فعل أهل  
السوء ونطلب منك النجاة.. فقد دخل بنو ربيعة وبنو  
صريم أتافت فنهبوا ما فيها.

الإمام الهادي - وهو في أشد حالات الانفعال والألم-: أفعل  
بنو ربيعة وبنو صريم ذلك؟ بئس ما فعلوا ضيعوا  
جهادهم وأحبطوا أعمالهم .. لا والله لا ينتصر  
الإسلام بمثلهم.

ودخل الإمام الهادي (ع) خيمته وهو في أشد وأسوأ

حال .. يتجرع الغصص ويردد:

- إنا لله وإنا إليه راجعون أليس عند هؤلاء القوم دين؟! ... وجعل يردد هذه الكلمات حتى سالت الدموع على خديه مجرقة وألم وهو يردد الاسترجاع.

دخل عليه محمد بن سعيد ومحمد بن سليمان يحاولان أن يخففا عنه بعض ذلك الحزن الذي كان قد خيم على قلبه.

محمد بن سعيد: يا مولاي لا تجعل الحزن والههم والألم يملك عليك قلبك.

الإمام الهادي: والله لولا أنني أخاف أن يضيع الإسلام لما أقمت في اليمن ولمضيت إلى بلدي .. فما أحسب أن هؤلاء يحل المقام بينهم ولا أستحل أن أقاتل بهم.

محمد بن سعيد: إنك إن فعلت هذا هلك الإسلام وتملكنا الظلمة والطغاة.

الإمام الهادي: إذا فأبقى هنا حتى يرزقني الله قوماً مؤمنين يسمعون لي فيأتونني فأقوم بهم ولا أكلم من هؤلاء أحد.

محمد بن سعيد: فإن شئت يا مولاي دعوتهم لك لتبين  
منهم الخير .. فلعلهم ظنوا أن ما فعلوه جائر.

الإمام الهادي: إذاً فاذهب وأتني بهم.

\* \* \*

وبعد بضعة أيام جاءت وفود بني صريم وبني ربيعة إلى  
الإمام الهادي (ع) فخرج إليهم.

الإمام الهادي: ما حملكم على نهب أثافت؟

أحد المشائخ: إن أهل أثافت قتلوا أبا عمر ونهبوه ونهبوا  
ما معه وقتلوا منا ثلاث نفوس.

الإمام الهادي: فلم يكن لكم أن تفعلوا ذلك دون رأبي حتى  
أمركم بالذي يصلح من الحق .. اسمعوا يا قوم .. والله  
لقد عزمت على أن أحتجب منكم ولا أكلم أحداً منكم  
حتى يأتيني قوم يعرفون الله ويعرفون الحلال من الحرام ..  
فأنتم ليس بيني وبينكم كلام حتى تردوا جميع ما أخذتم  
من أثافت .. فإن رددتموه وتبتم إلى الله تعالى وإلا فلسست

أصلح لكم ولا تصلحون لي.

فاعتذروا إليه وأظهروا التوبة والندم .. وأجابوا الإمام

قائلين:

- يا ابن رسول الله.. نحن نتوب ونصير إلى كل محبوب

ونرد النبي عندنا.

الإمام الهادي: إذا فامضوا وأتوا بما عندكم.

ولم يمض يومان حتى جمعت الأموال المنهوبة .. وأقبل أهل أثافت كلُّ يتعرف على ماله .. ولكن البعض منهم كان يأتي فيقول بقي لي كذا وكذا .. فلما إكتمل ما عند الإمام وبقي أناس يشتكون من ضياع متاعهم وأمواهم .. جمع الإمام الناس ليوم عظيم لم يتخلف من القوم أحد .. ثم صعد إلى مكان مرتفع .. وأمر بجمع الحطب حتى صار شيئاً كثيراً .. ثم أشعله وخطب في الناس خطبة عظيمة.

فلما رأى النار قد اكتمل اشتعالها وعلا لهيبها وصارت

تلفح الناس بحرارتها .. قال:

- أيها الناس من يقوم منكم فيدخل في هذه النار ..  
وأشهد الله أني أدفع إليه جميع ما معي من أثواب وآلة  
ومتاع ونقد.

وجعل الناس يتلفتون وينظر بعضهم إلى بعض وكلُّ  
يحدث نفسه: من سيلقي بنفسه في النار!! وما ينفع المتاع  
وكنوز الدنيا بأسرها لمن يدخل النار!!

الإمام: ويحكم فما يملككم على أفعال تُدخلكم النار؟!  
اتقوا الله تعالى وردوا ما عندكم من متاع المسلمين  
والضعفة والمساكين والأرامل .. فإنكم والله إن  
أطعتموني دخلتم الجنة.

فضج الناس وجعلوا يصيحون:

- يا ابن رسول الله نحن نطيعك ونرد ما عندنا ونموت  
بين يديك.

وتفرق الناس مسرعين كل يجلب ما أخذه ويرده إلى  
الإمام الهادي (ع).

وأقبل الناس من قمم الجبال وبطون الأودية يعلنون  
الولاء والبيعة بعد ما عرفوا عدل الإمام الهادي (ع) وعظيم  
أخلاقه .. فأصلح ما كان قد فسد وأقام الحق.

وعاد الإمام الهادي (ع) إلى خيوان فخطبهم خطبة طويلة  
وعاتبهم على ما كان منهم.. قال في بعضها:

والذي نفس يحيى بن الحسين بيده لولا حاجز الإيمان  
وعوائد الإحسان وكريم الفضل وتثاقل الحلم لأنشبت  
مخالب العقوبة فيكم، ولأطلقت أيدي المؤمنين بالحق  
عليكم، ولأذقتكم جناية أيديكم .. فاحمدوا الله تعالى على  
عفونا عنكم .. فإنني أقول لكم كما قال عمي يوسف  
صلوات الله عليه: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ  
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾



# الباب الرابع

## الفصل الأول

(١)

كانت ساعات الليل تمر ومدينة خيوان غارقة في نوم عميق قد ساد فيها الأمان وخلت من رجال الإفساد. وهناك في دار متواضعة البناء قليلة الأثاث .. كان ضوء المصباح لا زال يبذل ظلام إحدى حجراته.

كان ذلك الضوء يفصح عن رجلين أحدهما عاكف على صحيفة أمامه يكتب فيها .. بادي القوة عظيم الخلقه يكاد نور وجهه يظاهي نور مصباحه.

والآخر يرقب ذلك المشهد في إطمئنان بإدِ على وجهه  
وهو لا يكاد يجيد بنظره عن صاحبه ..

الإمام الهادي: يا أبا جعفر أتري الظلّمة يفكرون في هذا  
الوقت في صلاح الناس؟.. يا أبا جعفر ما يعرف حق ما  
نحن فيه كل الناس .. فإنه لي داخلني كلما ذكرت ما نحن  
فيه من المحنة<sup>(١)</sup> فإن المحنة<sup>(٢)</sup> تقع بنا في مواضع كثيرة عند  
ضرب السيوف وعند التسوية بين الناس وعند العدل  
فأسأل الله الخلاص.

جعل أبو جعفر محمد بن عبيد الله يتأوه من ثقل الحمل  
وعظم المسؤولية الملقاة على أعناقهم.

كان ضوء الفجر قد أوشك على الظهور والإمام عاكف  
على كتابة بعض ما تصلح به أمور الناس ..

محمد بن عبيد الله - وهو يخاطب الأمام بعد ما لحظ فراغ  
الإمام الهادي (ع) مما في يده:

(١) يقصد ما هم فيه من خوف.

(٢) يقصد الاختبار والابتلاء.

- ماذا أنت صانع في الغد يا مولاي بعد أن كفاك الله شر  
الدعام وولده ودانوا لك بالطاعة؟

الإمام الهادي: إني لأرجو أن يطفىء الله بي ما بين الناس من  
الفتن.. وإني خارج في الغد إن شاء الله للإصلاح بين  
بني ربيعه وأهل خرفان والسبيح.

\* \* \*

جعل الإمام الهادي (ع) يصلح أمر الرعية ويعظ الناس  
ويعلمهم و يلقي عليهم من الدروس ما شرح الله به  
صدورهم فقد قال لجمع منهم:

اتقوا الله في سركم وعلا نيتكم.. وعاملوا الله تعالى إذا  
فعلتم شيئاً فأجعلوه لله خالصاً.. إن أصلحتم سلاحاً فتكون  
نيتكم أنها لله.. وأن علفتم دابة فقلتموا النية في ذلك أنه  
لله.. وإن مشى أحدٌ منكم في جهة من الجهات فقلتموا النية  
في ذلك لله. فإنما أنتم في جميع ما فعلتم من جميع الأمور في

## صلاح الإسلام.

وعليكم بتأديب أنفسكم فلو وعظتكم ثلاث سنين ثم فارقتكم ساعه لنسيتم ما وعظتكم به إذا لم تناظروا أنفسكم في خلواتكم .. فعليكم بجهاد أنفسكم في الخلوات .. وعليكم بترك الغضب حتى تذلوا أنفسكم لله.

ولنأقول لكم هذا لأنني أمسيت مؤمناً على هذه الأمة .. ففكري في صلاحهم .. ومن أين تصلح؟

والله لقد كنت أعود مريضاً بقميص وإزار فلما ظهرت من المنزل إستغفرت الله تعالى إذ ركبت بقميص وإزار .. لأنني فكرت وقلت: لو رأني أحد من هؤلاء الجبابرة أو من الناس ممن لا عقل له ولا تمييز وأنا كذلك لنظر إليّ بعين القلة والمهانة .. وهذا فساد في الإسلام .. فاستغفرت الله من ذلك لأن الهيبة صلاح الإسلام قل الله تبارك و تعالى:

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوا  
اللَّهَ وَعَدُوَّكُمْ﴾ .. وأخيفوا أعداء الله بما أمكنكم واجعلوا  
ذلك لله خالصاً.

\* \* \*

وبينما الإمام الهادي (ع) منشغل بالإصلاح بين الناس  
أقبل فارس يحمل رسالة عاجلة.

الإمام الهادي: ممن الرسالة؟

الرجل: من والي نجران أحمد بن محمد العلوي يدعوك فيها  
إلى القدوم إلى نجران فقد سعى ابن بسطام، ومرزوق بن  
محمد، وأبو الوجيه بن موسى، ونحيل بن مهاجر، في إثارة  
الفتنة بين بني الحارث واليامين.

الإمام الهادي: عد إليه وأبلغه مني السلام وأخبره أنني راحل  
إليه في هذه الأيام إن شاء الله.

فلما انصرف الرسول جمع الإمام الهادي (ع) خاصته

وشاورهم في الأمر.

فاستقر رأيهم على مراسلة الدعام وبني سلمان ثم الخروج إلى نجران.

وبالفعل أقبل بنو سلمان وعلى رأسهم الدعام بن إبراهيم فلما وصلوا إلى الأمام أعلنوا له البيعة واعتذروا إليه مما كان قد بدر منهم .. ولكن الدعام إقترب إلى الإمام ليحاوره في شيء خاص.

الإمام الهادي: ماذا عندك يا دعام؟

الدعام: يا مولاي إن في ركبتي رجلاً ممن كان قد خالف أمرك وأثار الفتنة فشفعني فيه.

الإمام الهادي: حباً وكرامة فمن هذا الرجل؟

الدعام: إنه ابن بسطام.

الإمام الهادي: وما أخرجه من نجران .. ونحن لم نعلم الناس بالعزم على الخروج إليها.

الدعام: يا مولاي إنه لما تبادر إليه خروجك إلى نجران وأدرك  
سوء فعله بادر بالمجيء إليك خوفاً من أن تعاقبه  
لسوء فعله.

الإمام الهادي: إذا فأعد العلة للعودة إلى صعلة. ومن  
هناك - إن شاء الله - نخرج إلى نجران وأخبره أنني قد  
عفوت عنه.

ولم تمض أيام حتى كان الإمام الهادي (ع) ووجوه همدان  
وخولان ومحمد بن الدعام يدخلون إلى صعلة .. ولم يبق  
فيها الا ثلاثة أيام .. ثم خرج متوجهاً إلى نجران وجعل  
يمضي لا يلوي على شيء .. ويأبى أن ينزل على أحد ..  
حتى دخل قرية المحدثين من اليامين. فلما أدركوا أن الإمام  
الهادي (ع) جاد في طلبهم سعد بعضهم إلى الجبال المجاورة..  
فأقبل مشائخ العشائر نحو الإمام الهادي (ع) ووعده أن  
يقدموهم عليه.

وفي صباح اليوم الثاني كان رواد الفتنة بين يديه  
يعتذرون إليه ويعدونه بعدم العودة إلى الفتنة .. وسارع

الإمام الهادي (ع) في إجابة طلبهم وعفا عنهم .. ثم أمر في طلب من لم يحضر فأتي بهم الواحد تلو الآخر .. فحملهم معه على أحسن حال.

وكان قد جمع رؤوس الفتنة فأخذ من اليامين: ابن أبي الجراح، وبشر بن بكار، وأبو محجن.

ومن الخثيميين: <sup>(١)</sup> مرزوق بن محمد، ونخيل بن مهاجر، وأبا الوجيه بن موسى.

ثم أصلح أمر البلاد وأقبل عائداً إلى صعلة.

(٢)

وهناك في خيوان كان محمد بن الهادي (ع) يدير أمور البلاد.

وبينما هو في أحد مجالسه التي كان يعقدها لنشر العلم أقبل قوم من أهل الإحساء <sup>(٢)</sup> ينادونه:

(١) الخثيميين: بني الحارث.

(٢) الإحساء: منطقته قريبه من خيوان.



- يا ابن رسول الله.. يا ابن رسول الله ..

محمد بن الهادي: خيراً يا قوم.

- يا ابن رسول الله .. لقد عاد بعض قومنا لقطع الطريق

والتحرش بالضعيف وقد علمت ما كان من صلح

والدك بيننا قبل خروجه إلى نجران.

وعلى الفور أعد محمد بن الهادي (ع) العلة وخرج

معهم إلى بلادهم لإصلاح ذات بينهم.

وبينما هو في طريقه بعد أن أكمل مهمته أتته الأخبار

بوصول والده إلى صعلة .. فجمع المحدثين منهم وحملهم إلى

أبيه الإمام الهادي (ع) في صعلة .. وأمر بإخراج بعض من

كان قد حبسه الإمام الهادي (ع) في صلحه الأول بينهم ممن

أذعن للحق وظن فيه التوبة.

ثم عاد محمد بن الهادي (ع) إلى خيوان.

\* \* \*

وخرج الإمام الهادي (ع) إلى بلاد حوث ليتبع بعض

المفسدين الذين كثرت شكوى الناس منهم.

فلما استقر في بلاد حوث أرسل في طلبهم للحضور.

الإمام الهادي - وهو يرسل أحد أتباعه إلى المحدثين: إذهب إلى المحدثين وذكّرهم بأيام الله ونعمه عليهم فلا يكونوا باباً للفتنة وظلماً للضعفاء.

ولم تمض أيام حتى أقبل الرسول بجواب القوم:

- يا مولاي إن القوم يرفضون لقاءك ولكنهم ينطلقون إلى ولدك محمد في خيوان فيسمعون له ويطيعونه.

أطرق الإمام الهادي (ع) قليلاً يفكر وبحنكته القيادية أدرك أن في الأمر خيانة تُدبّر وأن القوم يريدون من وراء هذه المساجلة أمراً ما.

الإمام الهادي: امض إليهم فأخبرهم أنهم إن مضوا إلى خيوان أرسلت إلى محمد أن يأتيني برؤوسهم ولكن لا

تألُّ جهداً في دعوتهم إلى الحق والدخول فيه  
وترك الباطل.

\* \* \*

اجتمع مشايخ بني معمر بعد أن وصلتهم رسل الإمام  
الهادي (ع) وعلموا صلابة رأيه.. وأنه قد أدرك مرادهم.

أحدهم: إن الرجل -يعني الإمام الهادي- لا يخدع.. وإني  
أكاد أنظر إليه وهو يقود الجموع ليؤدب المفسدين منكم  
فأرسلوا إليه من أفسد منكم ليقيم فيه حكم الله  
واتركوا التعصب لأهل الفساد.

ولم يكد الرجل يكمل كلامه حتى ضج سفهاء القوم في  
وجهه وأكثروا السباب والخلاف..

آخر: يا قوم لا تكثروا في الاختلاف ننتظر هنا حتى يقدم  
الهادي ومن معه فإن رأيناهم قلة قاتلناهم حتى نفنيهم.

ثالث: يا رجل ومن أين لك أن يكونوا قلة وقد أرسل

الهادي في طلب خولان.

رابع: يا قوم إن من مع الهادي هم من بني عمكم وأقربائكم .. فلو أرسلتم من يخذلهم عن الهادي لما بقى معه منهم الا القليل وإني أرى أن الهادي إذا أقبل علينا وكان في جمع كثيف دعونه أن يخرج الينا في معزل عن المعسكر وأظهرنا له الطاعة فإذا إنفردنا به قتلناه وبقتله تتفرق جموعه.

انشرت صدور القوم وأنسوا إلى هذا الرأي وأخرجوه إلى طور التنفيذ .. فأعدوا من أصحاب الألسن من ينطلق للإنضمام في صفوف جيش الهادي وجعلوا يحشدون الناس ويعدون العدة للقتال.

\* \* \*

وبينما هم منشغلون في إعداد أنفسهم .. بدأت طلائع الجيش الهادي تظهر للعيان من بُعد ..

كانت قبائل خولان وجمع من أهل خيوان وأثافت قد

استجابوا لدعوة الإمام الهادي (ع) وبني عبيد من همدان..  
فلما نظر المخالفون من بني معمر إلى الجيش وكثافته..  
ورأوا الإمام الهادي (ع) في كامل عدته قد عبأ جيشه  
واستعد لقتالهم.. فاضطرب أمرهم واختلفوا فيما بينهم  
هل يقاتلونه أم يصلحونه.

وأرسل بعض وجوههم رسولاً إلى الإمام الهادي (ع)..  
وقدم الرسول على الإمام الهادي حتى وقف بين يديه.

الرسول: يا بن رسول الله لا تعجل عليهم إن القوم  
يحضرون إليك الساعة ويعطونك ما يجب عليهم.

الإمام الهادي: إذا فاذب وأحضرهم.

وبقي الإمام الهادي (ع) في مكانه ينتظر قدوم القوم عليه  
فلم يتقدم إليه من القوم أحد وطال إنتظاره حتى أقبل عليه  
إسماعيل بن المسلم.

إسماعيل: يا مولاي إمض بنا إلى أعناب هؤلاء العصاة  
فنقطعها ونهدم منازلهم.

الإمام الهادي: لست أمضي إلى مواضعهم .. ولكن  
أنتظرهم هاهنا حتى أدعوهم إلى الله فإن أتوا وإلا  
حاربتهم.

ولما رأى الإمام الهادي (ع) تباطئهم وأنهم لا يجيبون  
بشيء .. تقدم إليهم هو ومن معه من أصحابه فلما أشرفوا  
عليهم وهم في اضطرابهم واختلافهم .. انعزل بأصحابه  
إلى مكان وعر وأراد بعض جنود الإمام الهادي (ع) أن  
يقصدوهم فأمرهم بالكف عنهم .. ثم أمر المؤذن بأن  
يؤذن للصلاة.

فلما تقدم الإمام الهادي (ع) ليصلي بالناس جعل بعض  
اليعمريين ممن لا يريدون الحرب يصلون بصلاته .. فلما  
أتموا صلاتهم أقبلت رسلهم حتى وقفوا بين يدي الإمام.  
أحدهم: يا بن رسول الله إن القوم يصلون بصلاتك وإن  
القوم لراهبون منك .. فأبرز إليهم من عسكريك.

وعلى الفور برز الإمام الهادي (ع) من معسكره جانباً  
فتبعه بعض خواصه وأهل البأس في جيشه فهرع نحوه بنو  
معمر بأجمعهم يظهرون شيئاً ويبطنون شيئاً آخر.

ولكن تلك الهيبة التي من الله بها على وليه وابن وليه  
كانت صخرةً تتحطم عليها همم رجال السوء وما إن  
اقتربوا منه حتى بادر وجهاء القوم ينادون الإمام الهادي (ع):

- يا بن رسول الله قد أخطأنا وأنت أحق من صفح عنا  
فهب مسيئنا لمحسننا.

الإمام الهادي - وهو ينظر إليهم .. يكاد أن يقرأ الخيانة في  
وجوههم: لولا أن حاشداً أول من نصرني وقام معي من  
همدان لجعلت هذا الصفا<sup>(١)</sup> تسيل من دمائكم ..  
ولكني أحب أن ألا أشمت بحاشد عدواً ولا أقطع يداً.

وأقبل عليه جماعة من مشايخ حاشد فقالوا: يا بن رسول

الله هبهم لنا فليسوا يعودون إلى شيء مما تكره.

(١) الصفا: القطعة الكبيرة من الجبل.

الإمام الهادي: إني قد وهبتهم لكم فليصرفوا إلى ديارهم ..

\* \* \*

عاد الإمام الهادي (ع) بجنوده إلى خيوان.. بعد أن أمر  
الناس بالعودة إلى ديارهم.

ولكن رجلاً ممن كان قد أدرك للهادي مقامه من الدين  
والورع والتقوى وانغرس حب الإمام الهادي (ع) في  
أعماقه.. لما رأى ما عزم عليه ابن الضحاك مع اليعمرين  
من غدر الإمام الهادي (ع) والوقعة به بادر بالخروج إلى  
الإمام الهادي (ع) ليحذره وينذره.

وفي ليلة ممطرة وصل الرجل إلى خيوان فبادر نحو دار  
الإمام الهادي (ع) حتى جلس بين يديه.

الرجل: يا مولاي إن ابن الضحاك قد جمع ما يزيد على  
ثلاثمائة رجل وحرصهم عليك وقد عزموا على  
محاصرة خيوان.



الإمام الهادي: يا رجل إن القوم قد بايعوني وأقسموا أغلظ  
الايان على السمع والطاعة!!

لم يكن الإمام الهادي يتصور أنّ نكران الجميل والتكرار  
للعهود والاستهانة بالأيمان تبلغ تلك الدرجة من المكر  
والخديعة.. ولكن ضوء الشمس كشف عن الحقيقة الغائبة  
فلم يكد نور الشمس يكشف عن تلك الجبال المجاورة حتى  
ظهر جمع كثيف من الرجال والجنود يتمركزون على تلك  
القمم يصيحون بأعلى أصواتهم ويتوعدون الإمام  
الهادي (ع) وانصاره بالويل..

فلجتمع نفر من أنصار الإمام الهادي (ع) ومضوا إلى  
الدار التي يسكنها.

وخرج الإمام الهادي (ع) فجمع من كان معه وأعدهم  
للقتال ورغم قلة من معه لم يثنه ذلك عن القتال.

فلما صار الإمام الهادي (ع) وجنوده في سفح الجبل إنحدر  
القوم من الجبل كالذئاب الضاربة يريدون أن

يفتكوا بخصمهم.

فأشار الإمام الهادي (ع) إلى أصحابه أن يخالطوا القوم.  
واستعد الإمام الهادي (ع) مع ولده وبعض الفرسان  
لتمزيق صفوف القوم فأنطلقوا كالصواعق لا يثبت  
أمامهم أحد.

وثبت الطبرية في مواقعهم ينزلون بالقوم الواناً من  
القتل والجرح.

فلما حمل الإمام الهادي (ع) ومن معه على القوم تراجع  
الكثير من القوم وولوا فراراً بشر حال .. كلُّ يرجو النجاة  
لنفسه .. وتبع جنود الإمام بعضهم .. ثم عادوا وقد أنزلوا  
بالقوم شر هزيمة.

وبات الإمام ليلة الجمعة في خيوان .. وفي يوم الجمعة  
خطب أبو القاسم في الناس ورغبهم في الجهاد حتى  
خشعت قلوبهم وتاقوا للقاء عدوهم ..

ولم تشرق شمس اليوم التالي إلا وقد ضاق سفح الجبل  
بجشود اليعمرين وابن الضحاك.. فقد جعلوا الجبال  
من خلفهم.

\* \* \*

علم الإمام الهادي (ع) أن القوم مجدون على قتاله فلبس  
وأعد العلة لخوض المعركة واجتمع اليه جمع من أهل  
خيوان وخولان.

وبينما الإمام يسير في بطن الوادي المؤدي إلى مكان  
اليعمرين إذ بكوكبة من الفرسان تقيل نحوه وهم في كامل  
سلاحهم.. فتوقف لينظر ما الأمر فإذا هو والي أضافت  
الحسين بن الحسن قد أقبل مع بعض رجاله.

الإمام الهادي: أهلاً بوالي أضافت.. ما أقدمك علينا؟  
الحسين: لما علمت بجر بكم أحببت أن أكون معكم في

جهادكم فالأمور هناك في خير.

الإمام الهادي: إذا فهيا بنا نحو القوم.

\* \* \*

وبينما الإمام الهادي (ع) يخوض تلك الحرب مع  
اليعمريين كان ابن عباد قد إنسل من أوساط الجيش هو  
وجماعة من اتباعه بعد أن خَنَلَّ القوم عن نصرة الإمام  
الهادي (ع) .. وتوجه نحو مدينة صعلة يشعل الثورة على  
الإمام الهادي (ع) في تلك الجهة ..

وبالفعل أقبل نحو قومه من الأكييليين في وادي علاف ..  
ثم دخل مدينة صعلة وبني له فيها داراً وأقام حوله المحارس  
وجمع ثقاته وأصحابه وأخبرهم بما يطلب من وراء ذلك.

أحمد بن عباد: يا قوم إن أمر هذا العلوي قد عظم ولا طاقة  
لأحد منا بجموعه .. ولكننا إذا فرقنا جموعه وشتتنا جهوده  
بإثارة الحروب عليه في كل بلد اضطرب أمره وتفرق  
جمعه .. وإنني قد عاهدت ابن الضحاك وابن بسطام أن

يشعل الحرب كل منا في بلده .. وها هو ابن الضحاك  
يخرض اليعمرين على الحرب وابن بسطام ستأتينا  
أخباره وإني أظن الأمر قد اشتد على ابن الضحاك  
فتعالوا لنفعل شيئاً يلهي الهادي عن حرب اليعمرين.  
وبالفعل لقيت كلمات ابن عباد قلوباً مريضة وأنفساً  
حاقلة .. أنست إلى هذا الرأي وأجمعوا عليه.



## الفصل الثاني

(١)

وهناك في جبال الرس كان عبدالله بن الحسين يودع أهله وعمومته عائداً إلى بلاد اليمن بعد أن حمل معه ما جمعه من حصاد أموال الإمام الهادي .. فرأى أن يمضي إلى نجران لينزل على واليها أبي الحسين أحمد بن محمد العلوي ويحمل أخبارها إلى الإمام.

فلما دخل على أبي الحسين رآه مغموماً.

عبد الله بن الحسين: ما الأمر يا أخي وما لي أراك على مثل هذه الحال؟

أبو الحسين: إن هؤلاء القوم لا يكادون يعرفون للخير طريقاً .. فهذا ابن بسطام وجمع من الخثيميين قد أشعلوا نار الفتنة بين اليمانيين وبني الحارث فقد أخبرت أنه دفع

مألاً لبعض اليامين ليثيروا حرباً مع بني الحارث.

عبدالله بن الحسين: وماذا فعلت يا ابن العم؟ فإن أهل هذه البلاد أهل فتنة وإذا اشتعلت فلا أرى لها توقفاً.

أبو الحسين: وما عساي أن أفعل وليس لي في هذه البلاد من ناصر إلا قلة لا تذكر مع تحالف أهل الشر؟! غير أنني قد كتبت إلى الأمام أطلب منه القدوم وأشعت في الناس قدومه لعل المفسدين يخافونه.

عبدالله بن الحسين: فأعني يا رجل لنأخذ على أيدي هؤلاء المفسدين فإنني أخاف أن لا يصل أخي إلا وقد اشتدت الفتنة.

ومن صبيحة اليوم الثاني خرج عبدالله بن الحسين بمن معه يطارد المفسدين في القرى والوديان فظفر ببعضهم واختفى من بقي منهم يعملون على إثارة الفتنة في الخفاء.

\* \* \*

كان ابن بسطام بعد عفو الإمام المهدي (ع) عنه قد

اختلط بالجيش فالتقى برجل من مشائخ الأكيليين يسمى ابن عباد.. وكان كل منهما يظهر الولاء للهادي ويضمّر الفساد والكرهية ولذلك أنس كل منهما إلى صاحبه وافضى إليه بمكنون سره.

لقد رأوا ما حدث مع اليعمرين فكرهوا ذلك.. لذلك أبطن هو وصاحبه أن يثيرا الفتنة من جديد.. واجتمعا في خيوان.. واتفق رأيهما أن يرأسلا ابن الضحاك الساكن في بلاد اليعمرين ليعاود الكرة.. ووعده أن يعود كل منهما إلى بلده يثير الفتنة هناك.. وبهذا لا يدري الإمام الهادي (ع) أين يتجه..

وعلى هذا أجمع رأيهم واتفق أمرهم.

فانطلق ابن بسطام عائداً إلى بني الحارث واتجه ابن عباد إلى صعلة.. وجعل ابن الضحاك يحرض اليعمرين لحرب الإمام الهادي (ع).

\* \* \*

أما ابن بسطام فأسرع نحو قبيلته من بني الحارث القاطنة



في نجران وما حولها بعد ان استوثق من صاحبيه وأطمأن إلى انشغال الإمام الهادي (ع) بما هو فيه فجمع أصحابه وأهل طاعته.

ابن بسطام: يا قوم أين الحمية منكم أما ترون الهادي قد سجن خياركم وأهل الرأي فيكم ثم ولى عليكم أخاه وابن عمه وهامهم في بلادكم آمنين.

أحد مشائخهم: ماذا ترى أن نفعل؟ وهو إنما أخذ من أخذ لإفسادهم البلاد وإثارتهم الفتن ..

ابن بسطام: يا هذا إن الهادي لن يعيدهم إليكم لكن إذا أخذنا عبد الله بن الحسين وأحمد بن محمد العلوي ساومنا الهادي عليهما فلا نردهما إليه حتى يعيد إلينا كل من في السجن من رجال بني الحارث ..

وبهذه الطريقة أشعل ابن بسطام نار الثأر في قلوب بني الحارث فأجمع رأيهم على المكر والخديعة .. واتفق أمرهم على قتل والي الإمام الهادي (ع) وأخيه أو أسرهما.

فأقبل بعض مشائخ بني الحارث على ابن بسطام  
يقولون:

- يارجل إن الرجلين في حماية بني عبد المدان ولا أراهم  
يمكنونا منهما.

ابن بسطام: لا عليك يا رجل .. أَدع لي ابن مصفى بن  
إبراهيم..

فلما أقبل عليه ابن مصفى جعل يساومه ويعرض عليه  
ما استطاع من العروض حتى أرضاه.

ابن بسطام: إذا فمتى يكون الموعد؟!

ابن مصفى: إذا كانت ليلة السابع عشر من رمضان  
فسأفتح لكم الابواب فلا يشعرون بكم الا وقد دخلتم  
عليهم الدار .. فلا يستطيعون أن يدفعوا عن  
أنفسهم شيئاً.

\* \* \*

وفي ليلة السابع عشر من رمضان صلى أبو محمد عبد

الله بن الحسين صلاة العشاء وعاد إلى داره مع من معه من الغلمان .. فأقاموا طرفاً من الليل يتلون كتاب الله ثم انصرف كل منهم إلى فراشه لينام.

وبقي عبد الله بن الحسين يصلي صلاة الليل .. وبينما هو غارق في المناجاة يرتل القرآن تارة وتارة يناجي ربه .. أحس بجركة في الدور الأسفل من الدار حيث كان ابن بسطام قد جمع أشد قومه بأساً وقوةً وفي جنح الظلام تسلل هو وجماعته إلى الدار التي يسكنها عبد الله بن الحسين ومن معه.

كان ابن بسطام يرجو أن يظفر بعبد الله بن الحسين ومن معه .. فنهبوا كل ما في الدور الأول من الدواب والحواري وبدأ جماعة منهم في التسلل إلى الدور الأعلى.

\* \* \*

جعل أبو محمد عبد الله بن الحسين يرهف السمع لعله يدرك مصدر ذلك الصوت .. كان الصوت يزداد اقتراباً من

مقصورته ..

وبالفعل سمع أحد الأبواب يفتح بصورة حذرة .. فوثب نحو سلاحه وسل حسامه وأقبل يفتح الباب بكل ما لديه من قوة. فإذا هو وجهاً لوجه مع جماعة من الناس لا يرى إلا لمعان سيوفهم..فصاح بأعلى صوته يريد إيقاظ من في الدار من الموالي والاصحاب:

- يا أبا الحسين<sup>(١)</sup> .. إحدِر على نفسك ومن معك إن القوم قد إقتحموا علينا الدار.

وأقبل عبد الله بن الحسين يقاتل القوم من جهته وانضم اليه بعض الغلمان .. وخرج أبو الحسين من مقصورة أخرى هو وبعض من كان معه في ذلك الجانب واشتد القتال وتعالَت الاصوات وازدحم الدار بالمهاجمين يرجون الظفر بمرادهم قبل طلوع الصبح.

وانقسم الحاضرون من بني عبد المزدان .. فأما قلة من المؤمنين فثبتوا على عهدهم فانضموا إلى عبد الله بن

---

(١) يقصد والي نجران أحمد بن محمد العلوي.

الحسين في قتاله وآخرين وقفوا ينتظرون مع من تكون الغلبة.

أما الأبرص المداني وابن أخيه علي بن الربيع المداني فكانوا ممن نهب الدار وأخذ الأبرص المداني جارية لأبي الحسين.

وطلع ضوء الفجر والقتال متواصل .. وسقط الشهيد الاول ثم تلاه الثاني .. ولم تمض لحظات حتى كان الشهيد الثالث يخر صريعاً.

كل هؤلاء كانوا من بني عبد المدان الذين ثبتوا مع عبد الله بن الحسين وأصحابه.

فحمل عبد الله بن الحسين حجراً من أحجار الدار المحاصرين فيها ورمى بها نحو القوم فأصاب رجلاً من أبناء أخوة ابن حميد يسمى الطاهر بن الطاهر.

وهاب الجميع عبد الله بن الحسين .. وأقبل بعض بني عبد المدان لما رأوا القتل في أصحابهم ورأوا أن بني الحارث

قد تبادوا في القتال .. فنادوا أبا محمد وأصحابه وسألوهم أن يخرجوا معهم إلى منازلهم ووعدوه النصر.

وخرج أبو محمد وأصحابه متوجهين إلى ديار بني عبد المدان .. وبنو الحارث يتبعوهم فلما إستقروا في الديار اجتمع بنو عبد المدان مع مواليهم وزحفوا على بني الحارث حتى أخرجوهم من ديارهم.

ونجا أبو محمد عبد الله بن الحسين وأصحابه وخاب ابن بسطام ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

\* \* \*

ملأت أصداء هذه الخيانة البلاد ضجيجاً وثارَت منها نفوس أولياء الله وأصحاب الشهامه.

وأقبلت همدان بجميع عشائرها، والأحلاف، وثقيف، لا يلوون على شيء .. حتى اجتمع منهم جيش كثيف جاءوا من كل حذب وصوب يقصدون قرية نجران .. واجتمعوا على مقربة من القرية .. وأرسلوا جماعة منهم من ذوي

البأس والشجاعة ليدخلوا إلى أبي محمد يدعونه إلى  
الخروج اليهم..

وأقبل رسل القوم على أبي محمد عبد الله بن الحسين  
حتى وصلوا إليه ووقفوا بين يديه..

أحدهم: السلام عليكم .. الحمد لله على سلامتكم .. يا أبا  
محمد .. إن همدان والاحلاف وثقيف قد اجتمعت  
لنصرتك ودفع عدو الله وعدوك وإنهم لمجتمعون خارج  
هذه البلدة .. وإنهم لا يثقون ببني عبد المदान عليكما..  
فقد بلغهم أن بعضهم قد ساوم بني الحارث على  
تسليمكما اليهم .. فالله الله في نفسيكما .. فإننا نخاف  
عليكما الهلكة.

أبو محمد: شكر الله سعيكم أيها الرجال ولكننا إذا خرجنا  
تفرد بنو الحارث بمن بعدنا من الضعفاء من أهل  
الموالة .. ولكن انتظرونا حتى نجتمعهم ونخرج سوياً من  
هذه البلاد.

وانطلق الجميع لتبليغ الأنصار الموالين لعبد الله بن

الحسين بالتأهب للخروج.

وشاع خبر إستعداد أبي محمد وأبي الحسين والموالين لهم  
من أهل نجران للخروج من قرية نجران إلى المجتمعين خارج  
القرية من القبائل .. فجمع ابن بسطام وجوه بني الحارث  
وقال لهم:

- يا قوم والله لئن لم تظفروا بهما قبل أن يخرجوا من  
القرية لا تقدرن عليهما بعد ذلك وليأتينكم الهادي في  
جموع لا طاقة لكم بها.

القوم: إذا فما الرأي؟.

ابن بسطام: نعترضهم قبل الخروج ونقتلهم ونأسرهما ..  
وكيف لا نفعل ذلك وجُل من في تلك القافلة ليسوا  
سوى من ضعفاء الناس وعجزتهم؟!!

(٢)

أما الإمام الهادي (ع) فقد سار بأصحابه نحو جيوش  
اليعمريين التي جمعها ابن الضحاك وأقبل نحو القوم وقد



إشتد غضبه عليهم لكثرة خيانتهم ونقضهم لعهودهم ..  
ولما تراءى الجمعان جعل الإمام يعد جيشه لخوض المعركة..  
فإذا بجمع من مشائخ اليعمرين قد أقبلوا نحو الإمام.. وبعد  
أن ألقوا عليه السلام .. قال أحدهم:

- يا ابن رسول الله قد صرفنا القوم وليسوا يعودون إلى  
مثل هذا أبداً.

آخر: يا بن رسول الله إنهم لا يريدون الا خيراً فارجع إلى  
منزلك واصرف عساكرك.

وأقبل جماعة من مشائخ خيوان فوعدوا الإمام الهادي (ع)  
أن يمضوا إلى القوم فيقبحوا عليهم فعلهم.

فعاد الإمام الهادي (ع) بمن معه مغضباً فلما بلغ خيوان  
أقبلت جموع اليعمرين مع مشائخهم فتابوا واعتذروا  
وقالوا إنما غرر بنا بعض أهل سوء.

فغضى الإمام الهادي (ع) عنهم وجددوا بيعتهم ..  
وصرفهم إلى بلدانهم لم يمسه بسوء... فلقد كان الإمام

الهادي سلام الله عليه أكثر الناس عفواً وأسرعهم صفحاً لا  
يثار لنفسه من غادر ما سلم الدين.

\* \* \*

وبعد أيام خرج الإمام الهادي (ع) لتأديب بعض  
المفسدين ممن يقطعون الطريق ويبالغون في إثارة الفتن  
بين الناس.

فلما بلغ بلاد اليعمرين أشعل دعة الفتنة فتيل  
العصبيه.. فانطلقوا يصيحون في الناس أن العلوي يريد  
إذلالكم وتأديب من لجأ إلى بلادكم ممن أحدثوا..  
واجتمعوا على نقض البيعة.. وجمعوا معسكراً كثيفاً  
ونزلوا بأحد الأودية.

فلما علم الإمام الهادي (ع) بما فعله القوم.. وأنهم  
نكثوا البيعة رجع إلى معسكره وتوجه في اليوم الثاني إلى  
جموع اليعمرين في معسكرهم.

ولما وصل بأصحابه إلى موقعٍ وعرٍ وصارت خيولهم

عاجزة عن التحرك هجم عليه القوم من كل جانب ..  
فتفرق عن الإمام جميع أصحابه فجعل يقارع القوم بمفرده ..  
ثم نزل عن فرسه .. فطمع القوم في قتله .. فقاتلهم بالسيف  
قتالاً شديداً حتى هاب القوم الإقتراب منه .. فلما رأى  
أصحاب الإمام الهادي (ع) ما يفعله بالقوم وهو لوحده ..  
عادوا نحوه مسرعين فهزموا عدوهم شر هزيمة وانسحب  
اليعمريون وتحصنوا بأحد حصونهم .. فتبعهم الإمام الهادي  
وأقبل عليهم بجيشه نحو الحصن.

فلما أدرك القوم جده في طلبهم تصايحوا من أطراف  
الحصن يطلبون منه الأمان .. فانصرف عنهم وبات ليلته في  
الغيب.

وفي اليوم الثاني أقبل عليهم فخرج إليه القوم وحلفوا  
له الأيمان وطلبوا منه العفو.

ورغم ما فعلوه كان الإمام أوسع الناس صدرًا وأعظمهم  
حلمًا فقد عفا عنهم .. ثم توجه نحو المحدثين فأدبهم ..  
وطلب ابن الضحاك فلم يظفر به.

\* \* \*

رجع الإمام الهادي ومن معه إلى خيوان وبينما هو في  
طريقه إليها .. إذا يخيل في كامل عدتهم تقبل نحوه .. فتوقف  
بمن معه ينظر مراد المقبلين فلم يتوقفوا حتى وصلوا  
بين يديه.

قائد الجند: يا ابن رسول الله نحن جنود أمير اليمن أبي  
العتاهية أمرنا أن نخرج في نجدتك بعد ما بلغه ما أنت  
فيه من الحرب وهو يبلغك السلام ويلتمس  
منك الدعاء.

الإمام الهادي: أصلح الله الأمير وبارك فيكم .. فقد نصر الله  
عباده .. ولكن هيا بنا نتوجه نحو خيوان.

فنزّلوا على الإمام في أحسن حل يكلمهم ويسألهم عن  
أخبار أبي العتاهية ويحدثهم ويحدثونه.

\* \* \*

وبينما الإمام جالس مع بعض أصحابه أقبل عليه غلام  
عرفه الإمام بمجرد أن رآه.

الإمام الهادي: ما لي أراك وحيداً؟! أين تركت مولاك؟

الغلام: مولاي يبلغك السلام وهو - إن شاء الله - إلى  
خير.. لقد تركته في بلاد نجران وقد اشتعلت الفتنة  
فالقوم كادوا أن يقتلوهم .. وبسط الغلام  
للهادي الخير.

فلما فرغ الغلام من الخبر.. أقبل الإمام الهادي (ع)  
يكتب رسالة إلى أخيه يخبره أنه صائر إليه بنفسه ثم كتب  
إليه في تمام رسالته هذه الأبيات:

قل لأبي محمد ذي الأيادي تأنّ فسوف يسعلك ارتباصي

سأشجي ظالمك بحد رَمحي  
بنفسي ما اعتممت له ومالي  
إذا رعب الشجاع من العوالي  
حملت وفي يميني مشرفي  
أجل مني سحابة فاطمي  
أنتك الخيل معلمة عليها  
وفيان إذا سمعوا صراخي  
أولئك حاشد وينو بكيل  
وخولان الحماة ذور المساعي  
وفي الأحلاف كل نهى وعز  
أظن الناكون بنقض عهدي  
بأنى لم أشابه من علي  
غضبت لخالقي وشهرت سيفي  
رجوا غلراً بدين الله جهلاً  
فررتهم بأروع قاسمي

فلا يجلون عمرك من مناص  
أقيك بمهجتي عند الحياص  
وهم من المخافة باتتكاص  
أقد به الطلي قد الضراص  
يواصل رعلها مع النشاص  
أسود يأنفون من المعاصي  
أجابوا مغضبين من الصياصي  
أولو ضرب كأشداق القلاص  
سيوف الممركات لدى القلاص  
لدى الهيجاء غير ذوي مناص  
وكانوا في الفجور من الحراص  
خصال المكرمات له الخلاص  
على أهل الدعارة والمعاصي  
وهتكاً للحريم على الفزاص  
يرى منه للشيب على القفصاص

وبعد ذلك أمر الناس بالتجهز للرحيل إلى صعدة.

وفي صعلة كان أبو جعفر محمد بن عبيد الله العلوي قد  
خرج مع جموع من قبائل همدان وخولان والأكيليين  
لاستقبال الإمام الهادي (ع) .. وشعر الناس بفرح  
شديد لقدمه.

وبالطبع كان هناك من أساءه هذا الخبر .. فها هو ابن  
عباد لما بلغه قدوم الإمام الهادي (ع) خرج من صعلة مخافة  
أن يلقي الإمام الهادي (ع) فيجازيه على سوء صنيعه  
وتحريضه الناس على الفتنة.

وشاع بين الناس أن الإمام الهادي (ع) لا يستقر في  
صعلة وإنما هو خارج إلى نجران لقتال الناكثين من بني  
الحارث.

ووصلت رسل ابن بسطام إلى أحمد بن عباد الأكيلى أن  
يبدل جهده في إعاقة الإمام الهادي (ع) عن الخروج إلى  
نجران .. فجمع ابن عباد من استطاع من الأوباش ودخل  
صعلة وتحصن في جهة منها يناوش جنود الإمام الهادي (ع).

وقبل الغروب أقبلت جموع بني حمزة يريدون الوصول إلى دار الإمام الهادي (ع) للسلام عليه.. فخرج ابن عباد ومن معه فاعترضوهم ورموهم بالسهام واشتبكوا - وكان جنود الإمام الهادي (ع) من بني سعد مجتمعين في بلاد اليرسميين فهبوا إلى دار الإمام الهادي (ع) ليستأذنوه في الخروج لقتال ابن عباد.

كان الإمام الهادي (ع) قد أدرك مطلب ابن عباد فأمر الناس بالتوقف عن قتاله وأمر محمد بن عبيد الله أن يقود بعض الفرسان ويفصل بين الأكيليين وبني حمزة.

وفي اليوم الثاني أقبل بعض مشايخ جماعة يعتذرون للأكيليين عند الإمام الهادي (ع) .. وخرج ابن عباد فاراً إلى وادي علاف مع بعض أعوانه.

(٣)

وهناك في نحران اجتمع المؤمنون الخالص من أهل نجران وحملوا ما خف من متاعهم وخرجوا إلى خارج القرية حيث



ينتظرهم أبو محمد وأبو الحسين ورسل همدان والأحلاف.  
وانطلقت القافلة الصغيرة نحو القبائل المعسكرة على  
مقرية من نجران.

وفجأة توقف الموكب وذهل الجميع فقد أصبحوا محاطين  
من كل جانب.

أدرك أبو محمد مراد المهاجمين وعلم أنهم يريدونه حياً أو  
ميتاً فتوقف عن السير وأمر أنصاره من أهل نجران أن  
يتقدموا..

ثم جرد حسامه وأمر من كان معه من همدان أن يميلوا  
معه على بني الحارث..

وتقدم نحو القوم فمزق صفوفهم وفرق جمعهم .. ولم  
يثبت له أحد منهم .. فلما تفرقوا انطلق هو ومن معه إلى  
الحصن فأقام به..

ووصل رسول الإمام الهادي (ع) إلى أخيه عبد الله بن  
الحسين فجمع الناس وقرأ عليهم رسالة الإمام

الهادي (ع) .. ففرح المؤمنون بذلك فرحاً عظيماً.

وبلغ خبر قدوم الإمام الهادي (ع) ابن بسطام وبني الحارث فذب الخوف والذعر في أوساطهم .. فجمع ابن سيطام من استطاع وأمر أن تحصن مِيناس وحصنه النبي كان على مقربة منها.

وعزم ابن بسطام على أن يقضي على عبد الله بن الحسين ومن معه أو يأسرهم قبل قدم الإمام الهادي (ع) لنصرتهم وتعزيزهم .. ولذلك جمع جيشاً عظيماً.. وانطلق بعض المدائنين ممن كانوا من أهل الصلاح نحو أبي محمد لينصروه ويخبروه الخبر.

فلما علم أبو محمد بذلك جمع أنصاره .. واختار منهم قوماً من أولي البأس وأمرهم أن يكمنوا في مكان حله لهم..

واتجه أبو محمد بمن معه نحو جموع ابن بسطام فلما التحم الجمعان خرج أولئك الفرسان من مكانهم وهجموا

على جيش ابن بسطام فهزم ابن بسطام وجوعه شر هزيمة.  
وتقدم أبو محمد عبد الله بن الحسين فدخل میناس ثم  
دخل حصن ابن سيظام وأمر بهلمه .. ثم عاد هو من معه  
إلى حصن ثقيف ينتظرون قدوم الإمام الهادي (ع) لا تنقطع  
بينهم الرسل..

ومضى ابن بسطام في غيّه فجعل يُحصنُ مواقعه ويجمع  
بني الحارث ويملاً قلوبهم بالأحقاد .



## الفصل الثالث

(١)

بعد أن استقر الوضع في صعلة وأمن الناس .. جعل  
الإمام الهادي (ع) يعد الناس للرحيل إلى نجران.

وكتب الإمام الهادي (ع) رسالة ينبئ عن قدومه وقرب  
وصوله قال فيها:

وسرت إلى نجران في كل طالب      بأثر كتاب الله أروع غاضب  
من العرب الأسد للداعيس بالفتنا      ومن عجم حمير طوال الشوارب  
ومن حمي هملان وخولان جحفل      ومن غيرهم مثل الأسود الفوارب  
يريدون وجه الله لا شيء غيره      ويغنون ثأر المصطفى خير رآكب  
قل لابن بسطام وأعور حرث      مكانكما إن كتما في الكتاب  
لقد لب ابن بسطام وأكسح مدحج      لحيهما حقاً ويبت العقارب

وأفسله صفحي وإيجاب حقه      وما أن له حق عليّ بواجب  
 جريء إذا عوفي ذليل إذا ابتلي      مهين ضعيف فكره في العواقب  
 سيعلم دجال واحمق مدحج      إذا التقت الأقران حرب الحواجب  
 بأنا حمة الدين آل محمد      ذوو الصبر إذا صبر وقت القارب

\* \* \*

غادر الإمام الهادي مدينة صعلة بعد أن أسند ولايتها إلى  
 محمد بن عبيد الله وتوجه موكب الإمام الهادي (ع) إلى  
 نجران.. فلما نزل قرب نجران خرجت إليه قبيلة وادعة ..  
 وسارت في ركبه .. وتقدم نحو نجران ودخلها في ثاني ذي  
 الحجة سنة ٢٨٦هـ .. فاستقبله أبو محمد عبد الله بن الحسين  
 وأصحابه ووجوه القبائل .. وسرُّوا سروراً عظيماً بمقلمه.

وبعد أن بات ليلته توجه الإمام إلى باب ميناس وفرق  
 جنوده على أطرافها وجعل يوصيهم ويحثهم قائلاً:

- يا قوم اصبروا وصابروا وايدلوا جهدكم في كسر  
 جوانب الحصن.

كان الطبريون لا يألون جهداً في تنفيذ أمر الإمام الهادي (ع) ولذلك أقبلوا يقاتلون القوم بكل ما لديهم من قوة ولم تمض ساعات من بداية المعركة حتى كانوا قد هلموا جانبيين من جوانب الحصن..

كان الدخول من ذلك الثلم يُعد مخاطرة عظيمة فقد اشتد القتال في تلك المواقع بين المهاجمين والمدافعين من بني الحارث..

ولكن جماعة من الطبرية ممن امتحن الله قلوبهم للتقوى أقبلوا نحو ذلك المكان بعزيمة الأبطال التي امتلأت قلوبهم بالإيمان فكشفوا عن بني الحارث.. ودخلوا.. وتبعهم كوكبة من الأبطال.. ولكن سيلاً من السهام والحجارة كان تأتي عليهم من كل جانب.

وازداد عدد المهاجمين وضائق الأزقة بالمقاتلين.. فلما أدرك المهاجمون أن المصلحة في التراجع خرجوا.. واستمروا يقاتلون من جوانب القرية إلى قبيل الغروب.. فنادى

الإمام الهادي (ع) أصحابه يأمرهم بالعودة إلى معسكرهم وقد كثر الجراح والقتل في الطرفين.

وبات الناس ليلتهم تلك .. وخرج الإمام الهادي (ع) صباح اليوم الثاني راكباً فرساً آخر غير فرسه الذي كان يسمى أبو الحماحم .. مما يعني أنه لم يكن ينوي قتال القوم في يومه ذلك .. وكانت بنو الحارث تعرف ذلك منه .. وأمر الإمام الهادي (ع) أصحابه أن يقطعوا نخلاً لابن بسطام كان يعيقهم عن القتال وأمرهم أن يحاصروا بني الحارث .. فلما كان وقت الظهرية أمر الإمام الهادي (ع) الناس بالانصراف..

وبينما الناس على تلك الحال أطل قوم من بني الحارث فرأوا الإمام الهادي (ع) على خيل ضعيف .. وقد تفرق الناس عنه فخرجوا من حصنهم يقصدون الإمام الهادي (ع) فلم يتنبه إلا وقد صاروا على مقربة منه .. فأشار الإمام الهادي (ع) إلى جماعة من أصحابه أن يسبقوهم إلى باب

الحصن ليمنعوهم من الدخول.

وأقبل الإمام الهادي (ع) على المهاجمين بكل ما لديه من قوة وعزم يريد صدّهم فرفع رمحاً نحوهم.. ولكن شيئاً لم يكن في الحسبان قد وقع.. وهو أنّ ذلك الفارس المقدم قد هوى إلى الأرض بصورة مفاجئة.. وأحدقت به السيوف.. ووجهت إليه الرماح.. وصار صيداً سهلاً لأضعف جنود بني الحارث فكيف بفرسانها.. كان الموت قد أشرف ولحظات الوداع قد دنت.

كانت الحفرة عميقة والخيل ضعيفة والإمام غافل عن وجود مثل تلك الحفرة.. ولذلك لم يتنبه لنفسه إلا وهو يهوي من على فرسه.. ولذلك أمّلت النفوس المريضة أن تنال مرادها.. فتسابق جنود بني الحارث نحوه كل يريد أن يناله بسيفه أو رمحه.

ولكن الثبات الذي من الله به على رجل الإيمان والتقوى كانت لا تذهله أشدّ المواقف هَوَلاً.. فبينما هو



يهوي إلى الأرض صاح بأعلى صوته في وجوه القوم: يا  
كلاب .. وثنى يله نحو سيفه وحمل درقته ووقف في  
وجوههم كأنه الجبل.

فبهت القوم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كانوا أيقنوا  
أنهم سيظفرون بعدوهم .. وقاتل الإمام راجلاً بعد أن كسر  
رمحه وسقط خيله .. وتراجع الناس عن الإقدام نحو الإمام ..  
لا يكاد من رآه وهو يهوي على الأرض يُصلق أنه لا زال  
على قيد الحياة.

\* \* \*

ودارت معركة شديدة كثر فيها القتل والجراح وأبلى  
أصحاب الإمام فيها بلاء حسناً .. وأتى ظلام الليل ليفصل  
بين الناس وتراجع كل فريق إلى معسكره.

ومع إشراقة كل صباح كان المؤمنون يخرجون لحصار بني  
الحارث فيوماً يقاتلونهم وآخر يكفون عنهم.

واشتدت وطأة الحصار على بني الحارث واجتمع رؤوس


القوم - ابن بسطام، وأبو الوجيه، وابن حميد - حائرين ..  
فالطعام يوشك على النفاد والإمام الهادي (ع) لا يفك  
عنهم حصاره .. والتنمر من هذا الوضع يسري بين أوساط  
بني الحارث.

ابن بسطام: هل عند أحد منكم مخرج من هذا الوضع؟  
نكس الجميع رؤوسهم .. ولكن ابن حميد تكلم في  
زهو قائلاً: والله لو كان لي بهذا العلوي لقاء لما سلم من  
سيفي .. وجعل يهز سيفه في غرور.  
نظر إليه ابن بسطام بنظرة ساخرة .. نظرة من كان يعرف  
للإمام الهادي مقامه في الحرب وقال له:  
- أترك هذا القول وفكر في طريق مخرج من هذا الوضع  
الذي نحن فيه فإن الغد يبلغك ما تتمنى من لقائه  
فلا تعجل .

كان الجميع يدرك أن الخلاص ليس إلا في الرجوع إلى  
الحق .. وترك الافساد في البلاد .. فهم يعلمون أن الإمام

الهادي (ع) لا يطلبهم لحقد في نفسه ولا ضغينة .. فهو من أعظم الناس عفواً لا يطلب لنفسه حقاً إذا أدى الناس حق الله ولكن القوم تعاملوا فأعمى الله بصائرهم .. وغلبهم كبرهم واستحكم عليهم شيطانهم.

وبعد صمت ووجوم تكلم أبو الوجيه قائلاً: يا قوم إنه لا طاقة لنا بهذا الرجل الا بالمكر والخديعة واني أرى أنه لو ضُرب الرأس لهلك الجسد.

ابن بسطام: ماذا تقصد؟! 

أبو الوجيه: أقصد أن نختار من رجالنا أشدهم بأساً وقوة. ونعزلهم عن القتال .. فإذا برز الهادي جعلوه مقصد رماحهم وأن يُفارق جنودنا في سوحان وميناس والهجر .. فإذا قصد الهادي بجنوده أحد هذه الجهات ناوشناه حتى ينشغل بالقتال فيتسلل بقية جندنا ويهاجمون جيشه فيأخذونهم على حين غرة.

صَفَّقَ ابن بسطام بيديه وقام من مكانه ثم قال:

- أحسنت يا أبا الوجيه الرأي ما رأيت.. فإذا تفرق أصحاب الهادي عنه توجه فرساننا إليه فأردوه قتيلاً.

(٢)

بات بنو الحارث تلك الليلة في حركة وإعداد.. وشاع بين بني الحارث توعد ابن حميد للإمام الهادي (ع).. وانتقل الخبر إلى معسكر الإمام الهادي (ع) ليسمعه الإمام الهادي (ع) كما سمعه غيره من الناس.

ومع شروق الشمس قاد الإمام الهادي (ع) جنده وتوجه نحو سوحان.. فلما أشرف عليها بادروهم بنو الحارث بالسهم واقتحم الطبرية بعض الدروب والإمام الهادي (ع) يقاتل في أوساطهم.. واشتد القتال وغرق الناس فيما هم فيه.. وهناك وراء القوم كانت تجري حركة سريعة ومنظمة.. فقد خرج من كان في میناس من الجنود وكذا من كان في الهجر.. وأسرعوا في التسلل بين النخيل والأشجار؛ يسترهم عن الأنظار حصن سوحان.. واقتربوا

في هدوء لم يدركهم أحد..

كان أتباع الإمام الهادي (ع) وجنسه غافلين عن هذا الامر بل لا يكاد يخطر بأذهانهم الا أن من يقاتلون هم جميع جنود بني الحارث..

ولكن المفجأة أذهلت الجميع وأفقدتهم صوابهم ففي لمح البصر إنغرست سهام في ظهور القوم وهوت عليهم الرماح من كل جهة وخرج من في الحصن بكل قوتهم يضربون الوجوه .. فاحتار أنصار الإمام الهادي (ع) واضطرب أمرهم.. لا يدرون أيدفعون عن وجوههم أم عن ظهورهم..

وتراجع أصحاب الإمام الهادي (ع) يرجون النجاة.. فأقبل الإمام الهادي (ع) يعرض لأصحابه بخيله يردهم عن الهرب ولكن الذهول كان قد بلغ بهم كل مبلغ.

وبينما الإمام الهادي (ع) منشغل في دفع القوم كان أكثر من أربعين فارساً على مقربة منه يرقبونه على رأسهم ابن

حميد كانوا لا يلوون على شيء.. وكأنه ليس في ذلك المكان  
إلا الإمام الهادي (ع).

وحانت من الإمام الهادي (ع) إلتفاتة فرأى تلك العيون  
الحاقلة.. ووقع بصره على ابن حميد.. فترك ما هو فيه  
وأقبل يريد القوم.. ولكنه رأى رجلاً من أتباعه يسمى أبا  
عيسى قد أعياه الجري وقد هوى عليه أحد بني  
الحارث برمحه.

الإمام الهادي: يا أبا عيسى العدو وراءك فاحذر.

أبو عيسى: يا سيدي لقد أعيت.

\* \* \*

نسي الإمام الهادي (ع) ما قرأه في عيون تلك الزمرة التي  
كانت ترقبه بعد أن رأى أحد جنوده يكاد أن يتعرض  
للأذى.. فسلد الإمام الهادي (ع) رمحه نحو صدر الرجل  
المهاجم لأبي عيسى فخرج من ظهره وانكسر الرمح.

وهنا سنحت الفرصه لابن حميد وفرسانه لينالوا  
بغيتهم.. وقبل أن ينطلقوا لتمزيق ذلك الجسد الطاهر  
الذي أبلاه الجهاد وكثرة الحوادث .. كان صاحب ذلك  
الجسد يقبل نحوهم وقد استل سيفه وهو ينسب نفسه ..  
وصاح بابن حميد:

- اثبت يا ابن حميد أين أيمانك لأصحابك؟! اثبت  
لا أم لك..

فلما رأوه مقبلاً عليهم ارتعدت فرائصهم وولوا  
مدبرين نحو الحصن والإمام الهادي (ع) يتبعهم .. ولم يبق  
من جند ابن حميد إلا القليل من بني الحارث عن يمينه  
وشماله .. وأخذ ابن حميد لا يألو جهداً في الفرار والإمام  
الهادي (ع) لا يألو جهداً في محاولة إدراكه.

وجعل بنو الحارث يرمون سهامهم نحو الإمام  
الهادي (ع) .. والإمام الهادي لا يبالي بتلك السهام .. فصاح  
ابن حميد بأصحابه: ويلكم دقوا الجدار.

ولما ينس الإمام الهادي (ع) من إدراك ابن حميد ضرب  
بسيفه رجلاً ممن كان يرمي عن ابن حميد.. فقله من جنبه  
إلى سرتة.. ثم عطف عائداً إلى أصحابه.

ولما نظر ابن حميد إلى ما فعله الإمام الهادي (ع)  
بالرجل.. رمى بعمامته وقال لبعض أصحابه: أستروه فإن  
رأى الناس هذه الضربة لم يقاتل هذا الرجل أحد.. وأمر  
بدفنه من ساعته.

\* \* \*

اشتد القتال والإمام الهادي (ع) لا يجد من يعينه.. وإذا  
بصوت من طرف المعسكر يرتفع:

- يا معاشر الناس الإمام الهادي إلى الحق يقاتل الناس  
وحده وقد حمل عليهم وقد أوقفهم وأشجاهم فالله الله  
إرجعوا.

كان المنادي هو محمد بن سعيد بن أبي سورة عدو  
الامس وصديق اليوم.. ذلك الذي سن رحه وجرده سيفه



ليوقف امتداد تلك الحياة الشريفة في يوم من الايام.

وهنا عاد الناس وانهزم بنو الحارث شر هزيمة وعادوا إلى حصنهم وعاد الإمام الهادي (ع) بجنوده وقد حالفه النصر ونجوا من الخديعة.

كان الإمام الهادي (ع) يرجو أن يجعل لتلك الحرب نهاية فكان لا يكف عن إرسال الرسل إلى بني الحارث وتحذيرهم الفتنة ولكن الصد والجفاء وسوء الظن كان هو الاجابة الوحيدة لكل جهود الإمام الهادي (ع) .. فقرر الإمام الهادي (ع) أن يحسم هذه الحرب بإحتلال حصونهم وقتل مشعلي الفتنة منهم .. ولذلك دعا ثلاثين فارساً وثلاثمائة راجل من خيار أصحابه وأمرهم أن يبقوا في معزل عن المعركة فإذا أشار إليهم تبعوه؟

وكتب الإمام الهادي رسالة إلى ولده محمد في خيوان يخبره بما من الله عليه من الانتصارات المتوالية على بني الحارث وأعوانهم.

وبعد أيام خرجت جحافل الجيش الهادي لتضع للباطل  
حداً وترفع للحق راية خفاقه .. فقد توجه الامام نحو الهجر  
فلما رأى بنو الحارث وجهة الامام جمعوا جنودهم من  
ميناس وسوحان ودخلوا حصن الهجر .. واقترب الإمام من  
دروب الحصن والتحم المقاتلون في معركة فريلة تبارز فيها  
الأقران وتعانقت فيها السيوف وحجبت حمرة الدم  
ببياض السيوف.

ولما حمي الوطيس واشتد الضراب مال إلى ناحية من  
الحصن كان قد أخلاها بنو الحارث لما اشتد عليهم القتال  
في الطرف الآخر .. ثم أشار الإمام الهادي (ع) لمن كان  
قد أعدهم من الجنود فأمر بالمعاول والرماح وأمر بجرق  
الحصن ففتح فيه فتحة تتسع للدخول فارس مع فرسه .. وفي  
هذه اللحظات افاق بنو الحارث من غفلتهم فقصدوا ذلك  
المكان واشتد القتال على ذلك المدخل فأقبل الإمام

الهادي (ع) في عزم وقوة ففرق مَنْ كان هناك من بني الحارث  
واقترح الثقب وأمر الناس بالدخول بعده.

\* \* \*

دخل الامام إلى ما وراء جدار الحصن وابتلي المؤمنون  
وزلزلوا زلزلاً شديداً فمن ذا الذي يجروء أن يلتحق  
بالإمام؟..

وتقدم الإمام في عزم وثبات حتى أصبح على باب داره  
الذي كان يسكنها أيام بقائه في نجران .. ثم التفت خلفه إلى  
ناحية الثقب الذي دخل منه فلم ير إلا ستة فوارس هم من  
لحقه من جنده فلما رأوه أقبلوا نحوه .. وخرج بنو الحارث  
بمحافلهم من زقاق قريب بين البيت والمسجد  
وتكاثر عددهم حتى غص بهم المكان والإمام ينتظر بقية  
أتباعه أن يلحقوه ولكن هيهات فقد سدت بنو الحارث  
الثقب وظفرت بغنيمتها..

لقد صار الإمام الهادي (ع) سابع سبعة من جنده بين  
مخالب بني الحارث وجموع جنده خارج الحصن لا يستطيعون

الدخول فبنوا الحارث يمطرون كل مَنْ يقترب من جدران  
الحصن بوابل من السهام.

كان الذين مع الإمام الهادي (ع) ينقلون نظرهم بين  
الإمام الهادي (ع) الذي كان ثابتاً في مكانه كالجبل .. وبين  
جحافل بني الحارث التي تتقدم نحوهم كالوحوش الجائعة  
الظافرة بفريستها.

التفت الإمام الهادي (ع) إلى أولئك الفوارس وقال لهم:

- صافوا القوم أيها الرجال.

أحدهم: يا مولاي نرى أعزك الله أن تنصرف وتسرع في  
الخروج بنا من قريتهم فإنه لم يدخل معك من أمّلت ولم  
يدخل معك إلا من ترى من خاصتك والقوم في وجهك  
عسكر عظيم خيلاً ورجالاً فألله الله في نفسك وفينا.

فالتفت اليهم الإمام الهادي (ع) في قوة وحزم وقال لهم:

- ويحكم إذا خرجنا منها لم ندخلها أبداً .. وطمع القوم

فينا فأله الله .. الصبر الصبر..

ثم قال لهم:

- يا معاشر الأخوان أنتم أهل الصبر والدين والوفاء  
لرب العالمين .. وقد اجبت منكم أن تكفوني ظهري  
وتحموه لي وتتركوني وما أمامي من الكلاب فأنا بحول  
الله وقوته أكفيكم إياهم.

فأجابوه بصوت واحد: لك منا ذلك.

وأقبل بنو الحارث يتسابقون لما رأوا قلة من مع الامام  
كل يريد أن يظفر بشرف قتله .. فأسرع الإمام الهادي (ع)  
نحوهم كالاسد الثائر لما سمع من شتائمهم وكلامهم المنكر ..  
وهوى برمحه على أحدهم ممن أكثر له السباب والشتائم  
فقطعنه بالرمح في بطنه حتى أخرجه من ظهره وأقبل نحو من  
كان في الزقاق فانكسر رمحه .. فسل سيفه وأقبل يضرب  
القوم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

وأوغل الإمام الهادي (ع) في التقدم وعجز مَنْ خلفه من أصحابه عن ملاحقته .. فلم يلتفت إلا وقد توسط الزقاق وأحاط به بنو الحارث من كل جانب .. حتى أصبح في متناول رماحهم وسيوفهم فقد صاروا عن يمينه وشماله ومن خلفه وأمامه.

فلما نظر إليه أصحابه الذين كانوا يقاتلون في أعلى الزقاق يثسوا منه .. وكيف لا يأسون منه وقد صار مُحاطاً بمئات البشر ممن خلّيت قلوبهم من كل نية ومن كل شاغل إلا أن يسفكوا دمه ويمزقوا جسده!!

فمن للوحيد؟ ومن لمن حُجب عنه نصره!! وحيل بينه وبين أخوته وأهل بيته؟

(٣)

وهناك في مكان خارج صعلة في وادي علاف كانت المؤامرة تُدبّر بإحكام للقضاء على أفضل رجال الإمام الهادي عليه السلام واليه على صعلة - أبي جعفر محمد بن

عبيد الله.

جلس ابن عباد إلى بعض خواصه وجعلوا يتدابرون  
الأمر ويحكون المؤامرة.

ابن عباد: يا قوم إن الهادي قد رحل عن صعدة .. وأنزل  
بأنحوالي أشد العقاب .. وقد وعدتهم أن أشعل عليه  
الحرب في هذه البلاد حتى لا يتفرد ببني الحارث فما  
ترون أن نفعل؟

أحدهم: يا ابن عباد إن الهادي قد رحل عن صعدة ولم يترك  
فيها جنداً ولا سلاحاً .. فلا تفوتنا الفرصة .. فلن  
يستطيع أبو جعفر مع ولده علي أن يدفعوا عن  
أنفسهم شيئاً ..

ابن عباد: إنني أخاف أن يدعو اليرسميين فيجيبوه.

آخر: لا عليك .. سأذهب إليهم لأقنعهم بعدم نصرته.

ثالث: يا ابن عباد لماذا لا نخرج لنهاجم الحسن بن علي

الفطيمي في منطقة الغيل ونخرج مسلحين بني الحارث  
قبل كل شيء!

ابن عباز: إن الرجل صاحب أهل وقبيلة إذا دعاهم أجابوه  
فلا نصل لا إليه ولا إلى المسلحين.. أما إذا أخذنا محمد  
بن عبيد الله هابنا وهرب من موقعه.

وعزم الجميع على الأمر .. وجدّوا في إعداد العلة ..  
وعزموا على أن تكون ليلة عيد الاضحى المبارك هي موعد  
الهجوم على دار أبي جعفر ..

وعلم أناس ممن استقر الايمان في قلوبهم بالأمر  
فانطلقوا من ساعتهم إلى منطقة الغيل .. وأبلغوا الخبر  
الحسن بن علي الفطيمي .. فبادر في إعداد الرسل إلى أبي  
جعفر ليعلموه بما يُدبر له..

ولما بلغ أبا جعفر الخبر كره أن يترك عملاً خلفه الإمام  
الهادي (ع) فيه .. فدعى غلاماً له وقال له:

- يا غلام أخرج إلى بلاد اليرسميين وأخبرهم أنني أحتاج



منهم ثلاثين مسلحاً ليكونوا معي في الدار لننظر ما  
يفعله ابن عباد والأكيلين..

ولم يكد الغلام يخرج من الدار ويتجه نحو مشائخ  
اليرسمين .. إلا ورسول آخر من قبل ابن عباد قد سبقه  
إليهم وأقنع الجميع أن يكونوا على حياء ...

\* \* \*

كانت الشمس تشرف على المغيب لتعلن عن قرب  
الموعد المشؤوم .. وبدأ الإصفرار ولم يصل جواب  
اليرسمين .. وصارت الشمس إلى الإحمرار .. وطلع الشفق  
ساعة وصول الغلام.

الغلام: يا مولاي إن اليرسمين يقولون إنهم يكرهون أن  
يفتحوا على أنفسهم حرباً مع الأكيلين ..

وهنا التفت محمد بن عبيد الله إلى ولده علي قائلاً: جهز  
الحيل يا علي لنلحق بالحسن بن علي الفطيمي في الغيل  
لنقوى به ويقوى بنا فقد تأمر القوم على قتلنا.

وانطلقا في رحلة السباق مع الموت لا يُطلعان أحداً على  
وجهتهم .. ولم يطلع ضوء الفجر الأول حتى كانا قد استقرا  
في منزل الحسن بن علي الفطيمي.

محمد بن عبيد الله - وهو يخاطب الحسن بن علي: أرسل  
الصُّرَّاحَ ليجمعوا لنا من استطاعوا من بني سعد فيأني  
لا آمن أن يعلم ابن عباد رحيلنا عن صعلة فيتبعنا  
بجيشه.

وبالفعل لم تطلع شمس ذلك اليوم الا وقد وصلت  
الأخبار بأن ابن عباد يحشد الناس ليهاجم أهل الغيل ..  
واستعد أبو جعفر صباح يوم العيد الأكبر للخروج إلى  
المصلى ليصلي بالناس وإذا بجمع كثيف من بني سعد  
يصل إلى الغيل وقد علموا بما حدث ..

وأقبل أهل الوفاء من مشائخ القوم وعلى رأسهم محمد  
بن أبي هشام الذي توجه إلى أبي جعفر قائلاً:

- أناشدك بالله أن لا تصلي بالناس العيد. فيأني أخشى

عليك الهلكه.

محمد بن عبيد الله: لا تخف فلن ينالنا سوء بإذن الله ..  
سئلي الله الرعب في قلوب أعدائه .. فقد جمعت من  
استطعت من الأنصار في هذه الليلة. ..

وأصر محمد بن عبيد الله أن يخرج ليصلي صلاة العيد ..

كان جواسيس ابن عباد ينقلون له ما يحدث في الغيل  
خبراً بعد خبر فتزداد همومه ويخر عزمه .. وتتبدد آماله ..  
فأدرك أنه لن ينال خيراً .. وأدرك أن محمد بن عبيد الله له  
بالمرصدين .. وأيقن بالهزيمة إن دخل في هذه الحرب .. لذلك  
أرسل بعض جواسيسه بالمساحل ليدخلوها إلى المساجين  
من بني الحارث ليكسروا قيودهم ويلوذوا بالفرار ويلحقوا  
بقومهم في نجران.

وفي الوقت نفسه وصلت رسل الإمام الهادي (ع) إلى  
محمد بن عبيد الله يأمره أن يحشد له خولان ويرسلهم إليه  
ليستعين بهم في حربه.

## الفصل الرابع

(١)

بينما الإمام الهادي (ع) يعاني الأمرين في أطراف اليمن ليحمي الضعيف من طغيان القوي ويحد من إجرام بني الحارث.. كان ولده محمد في خيوان يحاول إصلاح أمور الناس والتوفيق بين القبائل.. ونشر الدين والفضيله وغرس مبادئ العدل والتوحيد.. وكان يتتبع أخبار أبيه.. ولكم اشتاق إلى الجهاد بين يديه والنظر إلى محياه النبي تجتمع في محياه كل ملامح القوة والحزم والشجاعة والرحمة والأنس والبساطة..

كان ثقة محمد بوالده تمنحه الإطمئنان ولكن بُعده عنه كان يؤجج في قلبه نار الشوق إليه..

وبينما محمد بن الهادي (ع) في مجلسه يعلم الناس إذ  
أشرق وجهه حين لمح أحد غلمان أبيه يدخل عليه .. فقام  
لإستقباله وحياه .. فإذا هو يحمل إليه رسالة من أبيه  
الإمام الهادي (ع) ..

فتح محمد بن الهادي الرسالة وقرأ مضمونها فإذا هي  
تبشره بما منّ الله على الإمام الهادي (ع) من إنتصارات  
متتالية في نجران ونواحيها.

كان الإمام الهادي (ع) قد كتب هذه الرسالة بعد معركة  
سوحان.. وكان ما في تلك الرسالة كافٍ لإطفاء لوعة مشتاق  
إلى لقاء أبيه وإمامه ومعلمه ..

ولكن الأخبار والأحداث ما كانت لتترك الفتى المؤمن  
لتم له الفرحة.

لقد وصلت الرسل من بلاد اليعمريين بأخبار لا تسر  
فقد دخل عليه بعض الضعفاء من الناس وهو يرفع صوته:  
يا مولاي كف عنا ظلم أصحاب عبيد ابن الضحاك لقد

قطعوا علينا الطريق ونهبوا متاعنا.

آخر: يا مولاي لقد دفنوا آبارنا ظلماً وعدواناً.

\* \* \*

ضاق بمحمد بن الهادي (ع) مجلسه لمثل هذه الاخبار ..  
واحترار .. فماذا يفعل؟ فلا جيش ليحارب به ويأخذ  
للضعفاء حقوقهم.. ولا أن بني يعمر خلوا ما بينه وبين ابن  
الضحاك أو حتى أنكروا على ابن الضحاك أفعاله  
وأخرجوه من أرضهم.

وبات محمد بن الهادي ليلته مغموماً مهموماً لا يدري  
كيف يفعل ليستعيد لهؤلاء الضعفاء حقهم .. ويمنع ابن  
الضحاك ومن معه من العبيد من الإفساد في الارض.

ومع طلوع الفجر الاول كان الباري يمين على وليه النبي  
أفنى ليلة في مناجاته والخضوع إليه بحلٍ انشرح له صدره  
وأذهب غمه وأمل فيه منفعة الأمة.

فقد كتب إلى اليعمرين رسالة ضمنها من الوعظ

والتذكير الشيء الكثير .. ثم ضمّنها بأبيات أثنى عليهم  
فيها أعظم الثناء.. وأرفق مع هذه الرسالة  
كتاب الإمام الهادي (ع) إليه ليكون بنو الحارث عبرة لهم ..  
فلما وصلت رسالته إلى اليعمرين إجتمع وجهاء القوم  
لسماع مضمونها فإذا في مطلعها:

ياحي همدان إن الله فضلكم بنصر آل رسول الله في الكسب  
حتى سما فخركم في كل شارقة من البلاد وقلّتم على العرب  
ونتم بعلي كل مكرمة في يوم صفين والأيام كالنذب  
وكان ذاك وأنتم إخوة ويد كالماء واللبن المشروب في العلب  
حتى إذا ما دعيتم نحو حقكم ونحو تحميد مجد غير مقتضب  
تناقلت عصبة عما وساعلنا أهل المروعات والأديان والأدب  
وظننا خيرَ ظن بالذين جفوا عنا وأحلامنا تربو على الغضب  
يا قومنا فارقوا التضليل وانصرفوا للحق لا تركوا للهو واللعب  
وشردوا أعبداً من عقرب داركم فعارهم يعدي الأخيـار كما لجرب

فلما قرأوا ما في كتاب أبي القاسم - محمد بن الهادي -  
ورأوا ما حل ببني الحارث تكلم أحدهم قائلاً:

- يا قوم والله ما رأينا للهادي من خطيئة وما رأيناه الا لنا  
ناصحاً وإلى طريق الخير قائداً .. والله لهو خير لنا من  
ابن الضحاك وعبيده.

آخر: يا قوم إن ابن الضحاك قد تمادى فقد صار أذاه ينال  
حتى أفراد قبيلتنا.

رجل صالح: فما بالكم يا قوم تأوونه على فساده؟.. وتعادون  
من أجله أولياء الله وأهل الدين والصلاح؟!

الأول: ولكن كيف نصنع به وقد قطع نفسه منا وأعطيناه  
وجوهنا أن لا يناله الا ما نالنا وأن نحمله كما نحمل  
نفوسنا وأهلينا؟؟

أحد المشائخ: يا قوم عاملوه من جنس فعله .. سلطوا عليه  
سفهاءكم كما يسلط عليكم سفهاءه واغلظوا له في  
القول .. فإذا رأى ذلك منكم ضاق منكم وخرج  
عن أرضكم.



وفعلاً أوعز الوجهاء إلى بعض السفهاء بالتحرش بابن الضحاك فلم يأت صباح ذلك اليوم حتى كان فرس ابن ضحاك مقتولاً في إسطبله .. فخرج يقصد مشائخ بني يعمر فسخروا منه.

أحدهم: ما أحقرك يا ابن الضحاك تشكو فرساً عقر عليك .. وعبيدك لم يتركوا طريقاً إلا وقطعوها .. ولا مصلحة الا وأفسدوها .. ونحن لا نتجاسر أن نتعرض لهم تقديراً لك!!

\* \* \*

أدرك ابن الضحاك أن القوم قد ملوه وكرهوا بقاءه فضاقت به السبل وعظم همه .. فلم يبق له من يلجأ إليه .. فقد أساء إلى معظم القبائل ومسهم أذاه.

وكلما فكر في طريق ومخرج وجد الدنيا تظلم في عينيه ولكنه كان يعرف حقيقة من يعادي وأن عفوه يغلب حلمه .. وكان قد سمع بالمودة التي كانت تربط أمير صنعاء أبا العتاهية والإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام ..

ولذلك جمع ابن الضحاك أهله وولده ومتاعه وخرج من  
قبيلة اليعمرين وتوجه نحو صنعاء .. فلما سمح له بمقابلة  
أبي العتاهية سأله أبو العتاهية:

- ما أقبل بك إلينا يا عدو الله وعدو رسوله؟! أظننت أنا  
نؤويك بعد ما فعلت من الفتن وأثرت من الحروب  
على ابن رسول الله!؟

ابن الضحاك: يا مولاي والله لقد أتيتك تائباً نادماً على ما  
صدر مني .. فلم يبق لي من راحم .. وإني لا أظن ذلك  
إلا عقوبة لي فيما آذيت ذلك السيد فقد أخرجني  
اليعمرين من بلدهم ذليلاً مهاناً وكل من راسلته لم  
يقبلني .. فكن لي عند محمد بن الهادي ووالله شفيحاً.

أبو العتاهية: ما أعظم شقاءك يا ابن الضحاك لو كنت إنما  
تريد الخديعة.

ابن الضحاك: صدقني يا مولاي .. فوالله إنني لنادم على  
ما فات.

التفت أبو العتاهية إلى أحد جنوده وقال له: احمل هذا وأهله وولده وارحل بهم إلى أبي القاسم في خيوان .. وقل له: أبو العتاهية يبلغك السلام ويستوهبك ذنب ابن الضحاك ويرجوك أن تصفح عنه..

وأسرع الجنود في تنفيذ الأوامر .. وانطلق ابن الضحاك مع جنود أبي العتاهية إلى خيوان .. فلما دخلوا ضيوفاً على محمد بن الهادي أحسن إستقبالهم.

وبجرد أن سمع رسالة أبي العتاهية أعطى ابن الضحاك الأمان .. وعاش الناس في أمن وسلامة وعافيه ثم كتب أبو القاسم محمد بن الهادي (ع) برسالة ثناء وشكر إلى أبي العتاهية ختمها بهذه الأبيات:

هنيئاً بما أولاك ربك ذو العلا	بنصرك للأخيار من آل هاشم
وفعلك إذ قمت الانام بفضله	وعاضلتها جهراً على كل ظالم
وفيت لآل المصطفى ونصرتهم	على كل من ناضاهم بالصوارم
وأنت لنا سيف ورمح وجّة	بك الهادي رمي في الثغور العظيم

سبقت إلى أعلى المكارم كلها وقصر عما نلته كل قائم  
فأبشر بنصر الله والقوز بالعلی بأعلى جان الله خير الغائم  
رفیق رسول الله لا شك عنلنا إذ كنت في مرضاتنا غير كاتم  
فأنت أخونا والوصول لحینا مشاركنا في أمرنا غير آثم  
عليك سلام الله ما لاح كوكب وما غردت قمرية في المواسم

(٢)

وهناك في أزقة مدينة نجران كان الإمام الهادي (ع) قد أدرك خطورة موقفه وذهاب ناصره وكثرة عدوه فضرب فرسه وأنطلق إلى أعلى الزقاق الذي دخل منه فتفرق من حوله مخافة أن يدوسهم بحوافر خيله فلما خرج من الزقاق ذكر من كان معه فخاف أن يتفرد بهم بنو الحارث.. فما كان منه إلا أن لوى فرسه وعاد من الزقاق - وكان الزقاق يغص بمن فيه - فلما رأوا الإمام الهادي (ع) مقبلاً عليهم تعلقوا بمجدار قصير كان يقودهم إلى المسجد مخافة أن يواجه أحدهم الإمام الهادي (ع).

كان أبو الوجيه قد أخبر بأن الهادي قد دخل في قلة من

الجنود إلى الحصن فأسرع إلى المكان ليعين على قتل الإمام الهادي (ع) وكان من أشد الناس حقداً عليه .. في حين كان أشهر بني الحارث في الشجاعة والفروسية .. فتوسط في الزقاق عند عودة الإمام الهادي (ع).

فلما رأى أصحابه يقفزون على الجدار أراد أن يفعل مثلهم ولكن الإمام الهادي (ع) كان قد وصل إلى مكانه .. فباشره الإمام الهادي (ع) فطعنه فسقط من فوق الجدار وجعل يجري فأدركه الإمام الهادي (ع) فطعنه وطرحة أرضاً ثم قام أبو الوجيه فلزه الإمام الهادي (ع) في الجدار ببقية رمحه المكسور .. وضربه به .. وتفرق بنو الحارث عن الإمام الهادي عليه السلام .. فرفع رأسه يريد مواصلة السير إلى آخر الزقاق للبحث عن أصحابه .. فإذا أصحابه الستة مقبلين عليه من أعلاه.

**الإمام الهادي:** الحمد لله على سلامتكم .. فليحتز أحدكم رأس هذا الفلجر.

وعلى الفور قام أحد الفرسان ونفذ أمر الإمام .

الإمام الهادي: اخرج بهذا الرأس إلى أخي وقل له أن يرميه  
في أوساط جيش بني الحارث فإنهم إذا رأوا ذلك  
فشلوا وتفرقوا.

وبالفعل كان الأمر كما توقع الإمام الهادي (ع) فقد  
تفرق بنو الحارث وخارت قواهم بعد أن رأوا رأس أبي  
الوجيه وأيقنوا بمصرعه .. وكثر الأسر فيهم وهرب من  
بقي منهم.

الإمام الهادي: يا قوم لا يفلت منكم ابن حميد فإنه رأس  
الفتنة وسنامها.

فهب الناس للبحث عنه وأغلقت الدروب ولم يُترك  
مكان في القرية إلا وبحثوا فيه.

أحد الجنود- وهو يمر على كومة من التبن: التبن  
يتحرك يا قوم!!

آخر: ربما أن أحدهم يختفي بين كومة التبن.

وسارعوا بتفريق كومة التبن فإذا هم بابن حميد يخرج من  
وسطها فأمسكوا به ثم أقبلوا به وبجميع الاسرى على  
الإمام الهادي (ع).

الإمام الهادي: ما تقولون وما ظنكم إذ فعلتم ما فعلتم من  
غير سوءة رأيتموها مني ولا قبيح؟ بل كان منا إليكم  
الإحسان والجميل، وكان منكم اجترأ على الله،  
وعدوان، وظلم، وغش للحق وأهله؟

ابن حميد: يا ابن رسول الله ما فعلت فينا فقد إستأهلهنا.  
فأطرق الإمام الهادي (ع) ملياً ثم رفع رأسه وقال:

- إني لا أقول لكم إلا كما قال عمي يوسف صلى الله  
عليه وعلى نبينا وسلم ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ  
لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ إلقوا بأهلكم ومنازلكم فقد  
عفوت عنكم.

عند ذلك اقترب أحد جنود الإمام الهادي (ع) وخاصته

وهمس في أذنه:

- يا مولاي أتعفو عن ابن حميد وهذا فرس عبد الله بن الحسين أخوك تحته وهو يلبس درعه وتجفاهه؟!  
الإمام الهادي: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

رجع بنو الحارث عائدين إلى منازلهم بعد أن منّ عليهم الإمام الهادي (ع) بعفوه.. وبقي ابن حميد عند الإمام الهادي (ع) حتى أقبل وقت الطعام فأكل معه فلما إنتهى من طعامه إلتفت إليه الإمام الهادي (ع) قائلاً:

- يا أبا حميد إنصرف إلى صبيانك لا يغتموا بك.

فانصرف ابن حميد من ساعته ناكراً الجميل وتلك هي سيما السفهاء وسجيتهم على مر الأزمان.

فإن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً

\* \* \*

ولما رأى بنو الحارث ممن آمنهم الإمام الهادي (ع) في



منازلهم وأيقنوا بنجاتهم غرهم حلم الإمام  
الهادي (ع) عليهم..

وفجأة.. وبينما هم مجتمعون.. صاح أحدهم:

- والله إنه للعار عين العار أن نعود إلى أهلنا ولم نحتر  
رأس هذا الرجل ونقتل أهله وولده.

ثم صاح آخر - ممن ملأ الحقد على الدين قلبه:

- عليّ عهد الله وغليظ أيمانه لا دخلت لي منزلاً ولا  
رأيت لي أهلاً حتى أذهب فأصرخ على الهادي وأجمع من  
إستطعت لقتاله.

وبهذه الحمية الجاهلية استخف قومه فأطاعوه وانطلقوا  
من ساعتهم نحو قبيلة مذحج يصرخون فيها على الهادي  
ويجمعون منهم السلاح والعتاد .. وتشابهت قلوبهم  
واتفقت نواياهم .. وكان ابن بسطام قد سبقهم إلى قبيلة  
شاعر لنفس الغرض وأجابه جمع عظيم.

كانت مثل هذه الأخبار مما تتناقلها الركبان .. وتسرع في

تبليغها العربان .. فقد بلغ الإمام الهادي (ع) هذا الخبر  
فاشدد عجبه لأمر هؤلاء القوم الذين لا يحرك ضمائرهم  
العفو ولا يؤثر فيهم الإحسان .. فدعى خاصته وجمعهم.

الإمام الهادي: يا قوم إن بني الحارث مع من أجابهم من  
منحج وشاكر سيصبحونا أو يمسوننا .. وأرى أن تجمعوا  
لي من بني الحارث الذين آمنهم خيارهم وأهل الرأي  
فيهم فأعظهم وأحذرهم الفتنة لعلهم يعودون إلى  
قومهم فيردوهم عن غيهم.

وبالفعل جمعوا له عدداً من وجهاء بني الحارث  
ومشائخهم وحضروا بين يديه.

الإمام الهادي: يا قوم قد بلغني ما بلغكم أن قومكم قد  
صاروا إلينا مقبلين فالقوهم وانصحوهم وردوهم عن  
هذا الحمق وذكروهم بعفونا وصنائعنا أولاً وآخرأً.

انصرف الوجهاء والمشائخ بعد أن سمعوا هذا الكلام  
وقد أشرقت وجوههم وجعلوا يتغامزون فيما بينهم لقد

خاف الهادي .. لقد خاف .. ووصل إلى سمع الإمام الهادي ما تهامسوا به فأمر بردهم إليه.

الإمام الهادي: لا تتوهموا أن كلامي هذا هيبية لمن جاء منكم بل ذلك - والله محمود- حجة عليكم وإعذار وإنذار .. وإن أجمعوا على ما هم عليه وقاتلونا لينصرنا الله تعالى نصراً عزيزاً - والله محمود- لكأنني بهم معلقين بأرجلهم في هذه الأشجار التي ترونها حول القرية في كل شجرة جماعة حتى تنتن القرية منهم ومن رائحة جيفهم ثم تأتوني فتسألوني أن أهب لكم جثثهم لتدفنوها .. فلا أهبها لكم إلا بعد تعب وكلام كثير وطلب صلح .. فأذهبوا حيث شئتم وافعلوا أنتم وهم ما أحببتهم .. ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾

ولكن النفوس الخبيثة كانت تأبى إلا أن تميل إلى كل خبيث فقد أسرعوا إلى استقبال قومهم.. ونزلت جنود بني الحارث بأسفل نجران ونزلت ينو ربعة وشاكر مع ابن

بسظام في أعلى نجران .. وراسل ابن بسظام أصدقاءه من  
المدانيين وواعدهم أن يفتحوا له الحصن إذا غفل الإمام  
الهادي (ع) وأتباعه.

(٣)

ومع طلوع الفجر كان بنو الحارث يتسللون من عمرات  
قد فتحها لهم المدانيون .. وازدحم المهاجمون على باب الإمام  
الهادي (ع) .. فسمع الضجيج وهو في صلاته مع بعض  
خاصته فلم يلتفت إلى ما يحدث في الخارج حتى أتم صلاته  
ثم لبس بعض سلاحه واستعجل عن بعضه .. فلما فتح  
باب الدار رأى أتباعه من همدان قد انحازوا إلى باب  
الدرب .. وبنو الحارث وأعوانهم قد ملكوا كل مكان ..  
فتوجه الإمام الهادي إلى أصحابه وجعل ينادي فيهم: عودوا  
يا قوم فإن الله ينصرنا عليهم.

وأجابه أحد أصحابه: قد أدخل علينا وعليك من  
القرية.. فألله الله في نفسك .. انحز بنا إلى جانب القرية وإلى  
الفضاء حتى نقاتل من لحقنا منهم.

الإمام الهادي: معاذ الله أن نبرح القرية .. ولا أخليها لهم.

ولكن بعض أصحابه أبوا العودة معه .. فعلا هو ومن معه من الطبريين وخلص أصحابه فصفهم في وجوه بني الحارث ثم حمل عليهم بمن معه.

وهجم الطبريون على المقاتلين من بني الحارث وقتلوا جماعة منهم إلى جوار المسجد .. في حين استمر الإمام الهادي (ع) في زحفه عليهم حتى أخرج بني الحارث من أطراف القرية.

ولما رأى بنو الحارث ثبات الإمام الهادي (ع) وضعوا له كميناً وراء الحصن من خيرة فرسانهم .. فعلم بعض أنصار الإمام الهادي (ع) بذلك .. فأسرع نحو الإمام الهادي (ع) وقال له:

- مولاي إحذر على نفسك فإن القوم قد كمنوا لك حلف هذا الحصن لا يريدون سواك فلا تخرج من القرية.

الإمام الهادي: إن الله سينصرنا عليهم فلا تخف..

وتوجه الإمام الهادي إلى مكان الكمين فكان هو أول خارج من القرية وجعل ينتسب للقوم ويتقدم نحوهم فلم يثبت له أحد.

ولما رأت همدان ذلك منهم عادت بأجمعها وعطفوا على بني الحارث عطفة رجل واحد.. فانهزم بنو الحارث شر هزيمة ولجأوا إلى جبل الأخدود وتبعهم جيش الإمام الهادي (ع).. فأمر الإمام الهادي (ع) من ينادي بالعفو عن بني الحارث.. ومنع أصحابه من اللحاق بهم.

وعاد الإمام الهادي (ع) إلى نجرن فبات ليلته تلك يرجو أن يتوب بنو الحارث ويرجعوا عن ظلمهم وغيهم.. ويؤثر فيهم عفو.. لكنه لم ير منهم إنابة.

وخرج في صباح اليوم الثاني ليتابعهم مخافة أن يعودوا إلى الفتنة من جديد فلما أشرف على بعض الأودية.. إذا هم في ذلك الوادي قد حملوا معهم الغرار التي أتوا بها

ليحملوا فيها نهب نجران.

فأمر الإمام الهادي (ع) أصحابه بالتوقف وندب لهم أربعين فارساً لمطاردة القوم .. ثم عاد الإمام الهادي (ع) فجمع بعض قتلى بني الحارث وستر عوراتهم وعلقهم في بعض الأشجار.

فلما أنتنت أجسادهم واشتدت رائحتهم أتاه بنو الحارث فرجوه أن ينزلهم وتوسطوا بأصحابه إليه .. فوهبهم جثثهم فدفنوها في أحد الآبار.

\* \* \*

وانتظر الإمام الهادي (ع) أياماً لعل بني الحارث يعودون ويعتذرون من فعلهم ويتوبون إلى ربهم .. فلما لم يقبل عليه أحد أمر بجمع الغنائم ثم أمر محمد بن سعيد بن أبي سورة ببيعها.. وقسم الغنيمة في الناس كما أمر الله ورسوله وأمنت البلاد واستقر العباد.. وساد في الناس الأمن والأمان.. وأعيد إلى الضعيف حقه.

وبقي الإمام الهادي (ع) في نجران يصلح ما أفسدته الحرب.. وما هي إلا أيام حتى أقبل بعض وجوه بني الحارث فطلبوا منه العفو لقومهم على أن يعاهدوا الإمام الهادي (ع) على عدم العودة إلى فتنة أبدأً.. فعفى عنهم وقبل منهم عهدهم.. فما أعظم عفوه وما أكثر حلمه على الناس!!

ثم أتاه بعض وجوه همدان من أولياء الإمام الهادي (ع) وأتباعه فجلسوا في مجلسه وكانهم يريدون أن يتحدثوا إليه في أمر خاص ولكنهم كانوا متهيئين من تكليمه فأحس منهم ذلك.

الإمام الهادي: تكلموا يا قوم ما الذي يردكم عن الكلام؟

أحدهم: يا بن رسول الله أنت أهل الحلم والكرم وقد أتانا ابن بسطام لنشفع له عندك فتهيئنا أن نكلمك في ذلك لسوء فعله وكثرة خيانتته.

الإمام الهادي: لكم ما طلبتم يا قوم فعسى الله أن يهديه



ويكف عن المؤمنين أذاه.

فشكروا الإمام الهادي (ع) وإنطلقوا إلى بلاد شاعر  
لإحضار ابن بسطام .. فلما أقبل ابن بسطام على الإمام  
الهادي أحسن الإمام الهادي (ع) إستقباله وعفا عنه.

وبقي الإمام الهادي (ع) شهرين في نجران يصلح أمور  
الناس.. فلما إستقام أمر البلاد أرسل في طلب والي نجران  
أحمد بن محمد العلوي فحضر الى الإمام وجلس في مجلسه.

الإمام الهادي: يا ابن العم هاهي البلاد قد استقام أمرها  
وذهبت منها الفتن وأنا راحل إلى صعلة.

أحمد بن محمد: يا مولاي لقد سئمت هذه البلاد وأهلها  
فأرجو أن تعفني من هذه المهمة.

الإمام الهادي: لا بأس عليك نرسل إلى أبي جعفر محمد بن  
عبيد الله.

فلما وصلت رسل الإمام الهادي (ع) إلى محمد بن عبيد  
الله أسرع في الإقبال عليه.. وما إن وصل إلى نجران حتى

ولاه الإمام الهادي على البلاد، ورفع منزلته، وعرف الناس مقامه، وجمع بني الحارث وسائر أهل نجران .. ثم وقف فيهم خطيباً فوعظهم وحذرهم الفتنة ثم قال لهم:

- اعلموا أنني قد وليت عليكم رجلاً كنفسي يحذو فيكم حذوي فاسمعوا له وأطيعوا.

ثم التفت إلى وجوه بني الحارث وقد رأى الشر في وجوههم، وأدرك أن لا دين لهم ولا وفاء.. فقال لهم:

- يا بني الحارث ليس لكم بُدُّ أن تحاربوني فأقتلكم قتلة هي أعظم من هذه القتلة حتى لا تجد النساء من يرحل بهن.

وفي صبيحة يوم السادس والعشرين من جماد الأول سنة ٢٨٧هـ غادر الإمام الهادي نجران.. وودّع المؤمنين.. وعاد بأصحابه متوجهاً إلى صعلة.

تم الجزء الأول بحمد الله

# الفهرس

٧	تصدير
٩	تقريظ
١٠	تقديم
٢٥	مقدمة
٢٩	مدخل
٣٢	الباب الأول
٣٢	الفصل الأول
٥٢	الفصل الثاني
٦٠	الفصل الثالث
٧٣	الفصل الرابع
٨٨	الفصل الخامس
٩٨	الباب الثاني
٩٨	الفصل الأول
١١٣	الفصل الثاني

١٢٥	-----	الفصل الثالث
١٤٢	-----	الباب الثالث
١٤٢	-----	الفصل الأول
١٥١	-----	الفصل الثاني
١٧٥	-----	الفصل الثالث
١٨٩	-----	الفصل الرابع
٢٠٣	-----	الفصل الخامس
٢٢٣	-----	الباب الرابع
٢٢٣	-----	الفصل الأول
٢٤٤	-----	الفصل الثاني
٢٦٦	-----	الفصل الثالث
٢٩٠	-----	الفصل الرابع